قصص نبوية

بأسلوب تربوي جديد

الجزء الرابع

د. شيرين لبيب خورشيد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قصص نبوية بأسلوب تربوي جديد

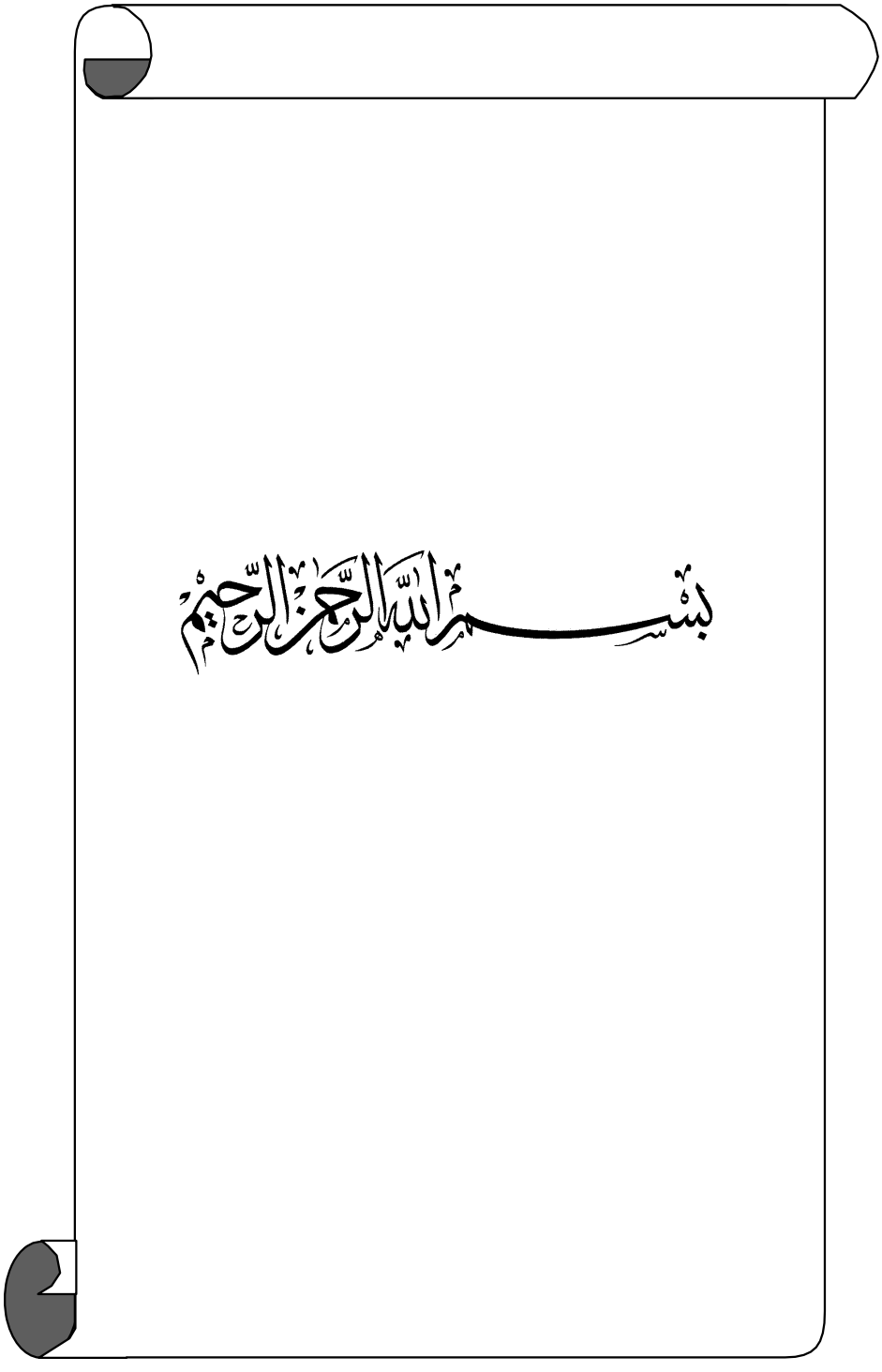
بسم الله الرحمن الرحيم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سلسلة قصص الأنبياء (الجزء الرابع)

قصص نبوية
بأسلوب تربوي جديد

إعداد وتحقيق
د. شيرين لبيب خورشيد

مراجعة لغوية
أ. هيام كامل عيتاني خشوف
أ. نوال محمد نبعة

مراجعة شرعية
دكتور صلاح الخالدي

شبكة الألوكة - قسم الكتب

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

www.alukah.net
شبكة الألوكة

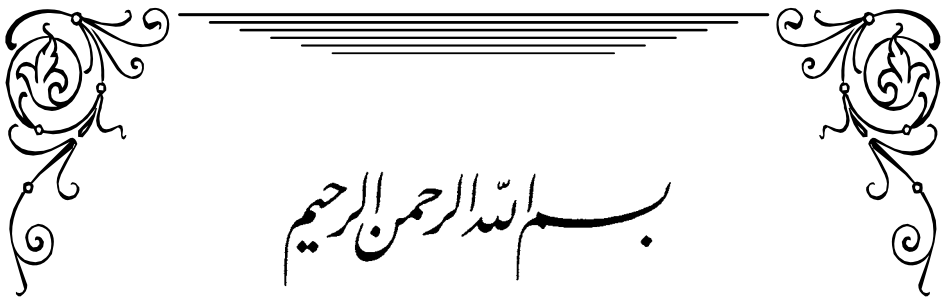

الحمدُ لله ربّ العالمين فاطرِ السماواتِ السّبع من غير عمدٍ، خلق آدم عليه السلام وعلّمه الأسماء. وأسجدَ له ملائكته، وأسكنَه جنّته، وحذّره من الشيطان عدوه اللّدود، ثمّ أنفذ فيه ما سبق به القضاء وإلى دار الابتلاء، وجعل الدّنيا لذريته دار عمل لَا دار جزاء. وتجلّت رحمته بهم فتوالت الرسل والأنبياء... وما منهم أحد إلا وجاء معه بفرقان وضياء... ثمّ خُتمت الرسالات بالشريعة الغراء... ونزل القرآن لما في الصدور شفاء... فأضاءت به قلوب المؤمنين الأتقياء[1]...

وأشهدُ أنْ لَا إلٰه إلا الله وحدَه لَا شريكَ له، وأشهدُ أنّ محمداً خاتَم النبيِّين والمرسلينَ.

أما بعد:

بفضل الله تعالى ومنّهِ وكرمهِ وصلنا إلى الجزءِ الرابع من سلسلةِ القَصَصِ النَّبوية بأسلوبٍ تربويٍّ جديد، حين أَذِنَ الله عز وجل أَن ترى النورَ هذه السلسلة... فمنذ عام ٢٠٠٠م بدأَت المسير لإعداد هذه السلسلة من القَصَصِ القرآني، لما رأيت ـ بَعْدَ ممارستي لتدريسِ مادة التربيةِ الإسلاميةِ من الصّفِ السّادسِ إلى الصّفِ التّاسعِ ـ البعد عن سرد القَصَصِ في هذه

(١) سلامة، مراد، الدرر البهية من المقدمات المنبرية، شبكة الألوكة، www.alukah.net، ص٢٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الكتبِ، بالإضافةِ إلى عدم اقتصارها على المصدريْن الأساسييْن، ألا وهما كتابَ الله وسنّة نبيّه ﷺ، ومنذ عام ٢٠٠٠م وأنا على سعي حثيث من غير مللٍ ولا كللٍ، صببْتُ جهدي للتَّعلم والتَّعليم ولمعرفةِ الحقيقةِ التي دامت سنواتٍ في انهيارِ الأمة، وبدأتُ التَواصل معَ المعنيينَ من الأساتذةِ ومن لهم باعٌ في تَدريسِ مادة التربيةِ الإسلاميةِ، وتواصلت مع تربويين وعلماءَ تربية لمساعدتي لإخراج هذه السلسلة:

ـ بدءاً مع الأستاذةِ آمنة منير عانوتي ـ رَحِمَهَاالله ـ توفيت عام ٢٠٠٩م، (وكان لها الأساس في وضع اللبنات الأساسية في تأليف القصص).

ـ الأستاذة عبلة بساط جمعة، (كانت لها اللمسات التربوية في مساعدتنا لوضع السلّم القيمي لكل جزء قبل البدء في تأليف القصة).

ـ الأستاذة ندى عيتاني، (كانت لها اللمسات الفنية التصويرية؛ خلال سيرنا في هَذَا الطريق ـ لَمْ يتم الاستفادة من هذه اللمسات بسبب دور النشر التي رفضت اتّباع هذه اللمسات ـ لكن في ميزان حسناتها الجهد المبذول الذي قدمته الثلاثون قصة؛ جزاها الله عنّي كلّ خير).

ـ الأستاذ الدكتور يوسف مرعشلي، (المراجعة بَعْدَ الانتهاء من تأليفها وصفّها، ووضع اللمسات التربوية التي أثرت في هذه السلسلة).

ـ الأستاذ الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، قام بتصحيح الـ ١٩ قصّة بَعْدَ إرسال القصص الـ ٣٠ لتصحيحها قبل طباعتها النهائية، وتمّ اللقاء به عام ٢٠٠٧م في بيته الكائن في عمان؛ مكثت عنده ثلاثة أيام أنهل عليّ من علمه الغزير في مراجعة الـ ١٩ قصة، مع التشديد على حذف جميع اليهوديات التي لَا أصل لها... وقدْ قدّم لي مقدمة هذه السلسلة وأجازني بتصحيح باقي القصص...

وفعلاً تمّ إرشادي وتوجيهي لاقتناءِ المراجعِ والمصادرِ التي ساعدتني في العودة إلى جادةِ الصَّواب في سردِ القصصِ القرآنيِّ، فلا أخفي على

القارئ مدى الصعوبةِ والمشقّةِ التي سارتْ معي طوال هذه السِّنين ـ في الحلِّ والتِّرحال ـ بالإضافة إلى سخريةِ البعضِ لسيري في هَذَا المشروع، فلا أقولُ لهم سوى حسبِي الله ونعمَ الوكيل ـ فما اكتشفته طوالَ هذه السنوات هو تمسُّك الجاهلِ بسردِ القَصص الممزوجةِ باليهوديّاتِ دونَ العودة واللجوءِ إلى معرفةِ المصادرِ الحقيقيةِ لهذه القصصِ.

الخلاصة: الحمدُ لله الذي هداني ووفَّقني للوصولِ إلى قَصَصٍ قرآنيٍّ منقِّح خالٍ من أيِّ شائبةٍ تشوبه أو تجعلْ منه مليئاً باليهوديات التي تمسّ صلب الحكمةِ من هَذَا القصصِ.

وفي الختام:

وما التوفيقُ إلا من عندِ اللهِ، ربّنا تقبَّلْ منَّا أعمالنا واجعلْها خالصةً لوجهِكَ الكريم، اللَّهمَّ أخلص نيَّاتنا وأعمالنا وطهِّر قلوبنا من حبِّ الدنيا وشهواتها، واجعَلْ علمَنا وعمَلنا دوماً ابتغاءَ وجهكَ الكريمِ، وآخرُ دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين.

د.شيرين لبيب خورشيد
بيروت في ٢٠١٧/٨/٢٧

* * * * * *

كلمة شكر وتقدير

وامتثالاً لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ﴾ [البقرة: الآية ٢٣٧]، وقول النبي ﷺ: «**من لَمْ يشكرِ النَّاسَ لَمْ يشكرِ الله**»، واعترافاً بالفضل الجميل لمن صفّ لي هذه السلسلة مع طباعتها أتقدَّمُ بالشكرِ والامتنانِ إلى «فادي أحمد السيد» ـ جزاه الله خيراً ـ، وإلى الأستاذة «هيام كامل عيتاني خشوف»، وإلى الأستاذة «فاطمة سعيد الشبعان»، وإلى كلّ من ساهم وتبرع لإخراج هذه السلسلة إلى النور،ولن أنسى زوجي الشيخ أحمد سعيد بصبوص الذي ساندني في مسيرتي وشجعني يوم يئست من قوم لا يقدرون ولا يريدون أن يعلموا الخبر اليقين. زوجي العزيز دمت داعماً ومؤيداً لي وعوناً ومشجعاً. بارك الله لكم وجزاكم الله خيراً.

كما وأدعو الله ﷻ أن يجزيَ عنّي خيرَ الجزاءِ، كلّ من قرأَ وأسهمَ بنشرِ هذه السلسلةِ وأخصُّ بالذِّكر «شبكة الألوكة» ـ جزاهم الله عنّي خيراً ـ.

* * * * * *

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تقديم

بقلم د. صلاح عبدالفتاح الخالدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه، ونتوبُ إليه ونستغفرهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيِّئاتِ أعمالنا، من يهدِ الله فلا مضلّ له، ومن يضللْ فلَا هاديَ له، وأشهدُ أن لَا إلٰه إلا الله، وحدَه لَا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

أما بعد:

فإنّ الله العليم الحكيم يعلَم أهميةَ القصص في حياة النَّاسِ، وفي ترسيخِ القيمِ والفضائلِ فيهم، وفي تقديمِ العلمِ والمعرفةِ إليهم، وفي تربيتهم وتوجيههم وتهذيبهم وتقويمهم، وفي عبادتِهم وطاعتِهم.

ولذلكَ أوردَ كثيراً من القصص الهادف في القرآن، وشغلَ ذلك القصص مكاناً واسعاً فيه، وكان من أهمّ مضامين وموضوعات الآياتِ الكريمات.

والقصصُ في القرآن قصصٌ هادفٌ، يراد منه تحقيقَ غاياتٍ ساميةٍ،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وأهدافٍ عالية، وقدم القرآن من خلالِ قصصه مَا يريد تقديمه من المعاني والعلوم والحقائق والمبادئ، والتوجيهات والدلالات.

وكانت القصص المذكورة في القرآن ميداناً واسعاً للدّارسين والباحثين، والمفسرين والمحلِّلين، حيثُ أقبل كثيرون على تلك القصص ونظروا فيها، وفسروها وحللوها، وعرضوها واستنبطوا منها..

وصدَرتْ كتبٌ كثيرة حول القصصِ القرآنيّ، وكانَ أكثر تلك الكتب في هَذَا العصر، الذي شهد إقبالاً خاصاً من الباحثين والمؤلفين على القرآن وقصصه، وصدرت عشرات الكتب الخاصة بالقصص القرآني، وتعدّدت المناهج، واختلفت الأسس، وتنوعّتِ الاجتهادات، وكثرتِ التحليلات.. واتَّسعتِ الساحة العلمية لكلّ تلك الكتب والمؤلفات. وفيها من الخير والنفع مَا فيها، و«لكلٍّ وجهةٌ هو موليها»، وأصحابها مأجورون عند الله، إن شاء الله..

وهذه السلسلة التي نقدّم لها ليست العمل الأول المتعلّق بالقصص القرآنيّ، ولن تكون الأخير، فَقَدْ سبقه كتبٌ عديدة، اجتهد فيها أصحابها، وقد ذمّوا مَا فيه الخير والنّفع والفائدة، وستأتي كتب أخرى في المستقبل، تبحثُ وتحلّلُ، وتدرسُ وتوجه، وتشيرُ وتستنبط، وسيبقى القرآن مفتوحاً أمام النّاظرين والمحللين، وستبقى قصصه مادة ثرية غنية، يُقبلُ عليها كلّ ذي تخصُّص، ويجد فيها مَا يريد وهذا من مظاهرِ إعجاز القرآن، الذي لَا يشبع منه العلماء والباحثون، على اختلاف تخصصاتهم واهتماماتهم..

الجيِّدُ في هذه السلسلة القصصيَّة التربوية الهادفة، التي أعدَّتها الأخت الفاضلة «شيرين خورشيد» أنَّها سلكت أسلوب «الحوار» العلميّ التربويّ الهادف، وليس أسلوب السرد الروائيّ، أو النظر التحليليّ، أو التوجيه الاستنباطيّ.. وَقَدْ سبق أن أشرنا إلى تعدد المناهج المفيدة في دراسة القصص القرآنيّ «ولكلٍّ وجهةٌ هو مولِّيها...».

والجيِّدُ في عمل الأخت خورشيد هو تقديم هذه السلسلة التربوية من

خلالِ أسرةٍ مسلمةٍ ملتزمة، معلمة ومتعلِّمةٍ، ومترابطةٍ ومتماسكةٍ. إنَّها أسرة «أبي أحمد»، التي أرادتِ الأخت أن تكونَ نموذجاً للأسرة المسلمة، التي تجلسُ على مائدة القرآن، وتأخذ منها العلم والمعرفة، والتوجيه والتربية.

أبو أحمد يعملُ ويوجِّه، وأمّ أحمد تعمل وتعلِّم وتحلِّل، والإخوة الثلاثة أحمد وجميل وسامي يسمعون ويتلقون، ويتابعون ويحاورون، ويناقشون ويحللون. يسأل الأبناء بأدبٍ، ويتلقون الجوابَ من أحدَ الأبوين، ويتحاورُ الجميع على مائدة الطعام أو في جلسة الاستراحة، أو يقومون برحلة بعيدة أو قريبة.. وهدفُ الجميع هو الوقوف مع قصصِ القرآن متعلمين ومحللين..

بدأنا مع أسرة أبي أحمد في الحلقة الأولى من هذه السلسلة الطيبة، وتابعنا الجلسات العائلية مع هذه الأسرة، وما فيها من حواراتٍ وسؤالاتٍ، وجلسنا مع الأسرة بخيالنا وهي تتحاور، وسرنا مع أفرادها وهم يسيرون، وارتحلنا معهم وهم يرتحلون، واستفدنا معهم وهم يستفيدون، وتعلمنا معهم وهم يتعلمون.

والجيِّدُ في هذه السلسلة النافعة أنَّها تعاملت مع القصصِ القرآنيِّ بمنهجيةٍ، حيثُ حرصتِ الأخت «شيرين» على البقاء مع القرآن الكريم، وهي تتحدث عن قصصه، ولم تخرج إلَّا إلى أحاديث رسولِ الله ﷺ الصحيحة، والجيِّدُ في عملها أنَّها لَمْ تذكرْ شيئاً من الإسرائيليات والأخبار غير الصحيحة، وهي التي لَا دليلَ عليها من القرآنِ والحديثِ الصحيحِ.

وحرِصتِ الأخت في مَا سجلته من حواراتِ أفراد الأسرة على التركيزِ على الأبعاد العلمية والتربوية، والإيحاء لقراء هذه السلسلة بأن يكونوا كأسرة أبي أحمد، بما فيها من معلمين ومتعلمين..

ولقد أكرمتني الأخت الفاضلة «شيرين خورشيد» مرتين: مرة عندما

عرضتْ عليّ هذه السلسلة قبل نشرها، فقرأتها واستفدُت منها. ومرةً أخرى عندما طلبتْ منِّي التقديم لها، فجزاها الله خيراً.

ونسألُ الله لهذا العمل القبول، وللأختيْن الأجرَ والثوابَ، وللقرَّاء الفائدة والمعرفة.

وصلَّى الله على سيِّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

الاثنين ١٠ محرم ١٤٢٨

الدكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي

تعريف بالكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين حمداً يوافي نِعمه ويكافئ مزيده، والصلاةُ والسلامُ على سيِّد المرسلينَ سيِّدنا محمّد عليه أفضلُ الصلاة وأتمُّ التسليم وعلى بقيةِ الأنبياءِ والمرسلين، وعلى كلِّ من اهتدى بهديهم إلى يوم الدين. ومن قصصِ الأنبياء نقتبسُ خير الخلق الكريم وأفضلُ صفات ترضي الله تعالى ربّ العالمين.

يتناول الكتاب: قصصُ الأنبياءِ من لدن سيِّدنا آدم عليه السلام إلى سيدنا عيسى عليه السلام، بأسلوبٍ تربويٍّ جديدٍ، يجذب الأطفال إلى متابعة قصص الأنبياء وأخذِ الحكم والعبر منها بطريقةٍ غير مباشرةٍ عبر أسرة مسلمة ملتزمة بمنهجِ الله تعالى ومطبِّقةٍ لأحكامه في حياتها اليومية.

هذا الكتابُ هو الجزء الرابعُ من سلسلة قصصيةٍ قائمةٍ على بناء الفتية على التوحيد الصحيح وغرسه في نفوسهم، وعلى القيمِ والأخلاق الحميدة الثابتة في القرآن والسنَّة، ليطبقها في حياته اليومية.

القصة الخامسة عشر: نبيُّ الله شعيب عليه السلام.

القصة السادسة عشر: أنبياءُ الله أيوب ويونس وذو الكفل واليسع وإلياس عليهم السلام.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القصة السابعة عشر: نبي الله موسى عليه السلام.

الأهداف من تأليف هَذَا الكتاب: جعل القارئ يستنتجُ ويرى أنّ الإسلامَ دينٌ كاملٌ متكاملٌ يغطّي جوانب الحياة الإنسانية كلّها. فالدِّين منهجُ حياة شاملة في الدنيا والآخرة. وكانتِ الغاية إعادة الطفل إلى الحياة الشاملةِ المتكاملةِ بحسبِ دين الله عز وجل في الدنيا والآخرة، ومدى صلته بالله عز وجل ليفوزَ بسعادةِ الداريْنِ. فمن خلالِ أسرة افتراضية هي (أسرة أبي أحمد) يتعلَّم الطالبُ أهمية الأسرة المسلمة الملتزمة بأوامرِ الله والمطبقةِ لمنهجه في حياتها اليومية.

الغاية من تأليف هَذَا الكتاب: نظراً للواقع الذي نعيشُه اليوم، وابتعاد النظمِ التربويةِ عن الإسلامِ وتوجهاتِه، وبعد البحثِ ومراجعةِ سيرة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، خاصةَ في المرحلةِ الأولى من بِعْثَتِه عليه السلام، ودراسة الفترة التي تلتها في المدينةِ المنورة، نجدُ أنَّه كان لقَصَصِ الأنبياء تأثيرٌ كبيرٌ في بناءِ شخصيةِ المسلمين الأوائل، امتدَّ أثر هذه القصص على بناء المدينة الإسلامية، بناءَ النواة الأولى والأسس الحيوية لمجتمعٍ جديدٍ فتحقَّقت نبوءته عليه السلام حين قال: «**خير النَّاس قرني، ثمّ الذين يلونَهُمْ**، . . .».

وبعد مراجعة السُّور المكية، نجد أنَّ الله عز وجل قصَّ علينا في القرآن الكريم الكثيرِ من قصصِ الأنبياءِ مع أقوامهم، وَقَدْ شكّل هَذَا جزءاً كبيراً من القرآن. وَقَدْ كانَ للقصةِ الأثرَ الكبيرَ في عملية التغيير غير المباشر، وإنَّ الشواهد على ذلك كثيرة، إذ أثَّرتْ في وجدان الصَّحابةِ وفي مواقفهم وفي إيمانهم. لذا ومن خلالِ تجربتي في تدريس مادة التربيةِ الإسلامية، وجدْتُ شغفاً قوياً لدى الطلّاب إلى سماع القصة أولاً، قبل اللجوء إلى كتاب التربيةِ الإسلامية بل بدا لي عدمُ اكتراثهم بالكتاب، وهكذا كانتْ بداية هذه الفكرة وهي الإتيان بكتاب تربيةٍ إسلامية على شكل قصص، غايته ترسيخ عقيدة الطفلِ المسلم، عبر سلَّم قيميّ نرتقي من خلاله بتربية الطفل بحسب عمره من سنِّ الحادية عشرة إلى الثامنة عشرة، ومقدرته على التلقّي

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والاستفهام وعلى الانتقالِ من المحسوسِ إلى المجرَّد، لغرس العقيدة الصحيحةِ في نفوسِ الأطفال، والتأسيِّ برسولنا سيِّدنا محمد ﷺ في حياته اليومية، وبذلك نرسخ في أذهان وأفكار الأطفال القيمَ والأخلاقَ والعقيدة الثابتة إلى يوم القيامةِ، فننشئ إنساناً مؤمناً بالله، يعبُده بإخلاصٍ، ويطبِّقُ أحكامه ﷻ، مستقلًّا مسؤولاً، صالحاً مصلحاً في مجتمعه.

وكان السلم القيمي كالتالي:

١ ـ توحيدُ الله وعبادته وطاعة رسوله عليه الصلاةُ والسلام.

٢ ـ قوة الإيمان (والسبب أنَّ قوة الإيمان ركيزةٌ من الركائزِ المهمة للشخصية المتوازنة).

٣ ـ القدوةُ الحسنة: من قصص الأنبياء يترسَّخ في أذهانِ الطلاب مفهوم القدوة الحسنة وأثرها الطيب في حياة الإنسان.

- الآباءُ قدوةٌ حسنة.
- الصحبةُ الصالحة والقدوة الحسنةُ.

٤ ـ قيمةُ العمل بِجانب أهمية العلم ليعتادَ الطفلُ ممارسة المبادئ والقيمِ الاجتماعية والأخلاقية والعلمية منذُ الصغر.

٥ ـ أهميةُ الأسرةِ في نماءِ الحضارةِ الإسلاميةِ ويتعرَّف منها على الزوجِ الصالح والزوجة الصالحة، الحقوق والواجبات لكلٍّ منهما، وتربية الأطفال.

٦ ـ تحقيقُ الأخوّة الإسلامية وتقويةُ الروابط بين المسلمين.

٧ ـ أهميةُ تزكية النفسِ وتكميلها للوصول إلى السعادة في الدنيا والآخرة.

٨ ـ بث الروح الاجتماعيةِ وتنميتها لدى الفرد بدءاً من البيت.

يحتوي (الجزء الرابع) على الإيمانياتِ والقيم التالية لكلِّ قصة:

قصة رقم ١٥
نبي الله شعيب عليه السلام

سلوكيات، أخلاق، قيم	إيمانيات
١ ـ أن يفهم الأطفال أهمية العطف مع الكبير والضعيف.	١ ـ أهمية أداء الصلاة على وقتها.
٢ ـ أن يتعرف إلى أهمية ربط العلم بالعمل.	٢ ـ معرفة التسلسل الزمني للأنبياء.
٣ ـ ضرورة تنظيم الوقت والتخطيط للمستقبل.	٣ ـ بيان أن طلب العلم فريضة.
٤ ـ أن يتعرف المفاهيم: (العدل والأمانة والكيل والميزان).	٤ ـ التأكيد على أهمية الإيمان بجميع الرسل.
٥ ـ أن يفهم معنى الإفساد في التطفيف.	٥ ـ توضيح معنى الاستخلاف.
٦ ـ إيصال مفهوم أن التمتع بالحياة الدنيا لا يتعارض مع الدين.	٦ ـ شرح مفهوم علم الله الأزلي.
٧ ـ التأكيد على عدم الإفساد في الأرض.	٧ ـ توضيح مفهوم الأمانة.
٨ ـ بيان سوء التكبر والظلم والاستعلاء والتجبر وضرورة تجنبها.	٨ ـ شرح نشأة الكون على مرحلتين.
٩ ـ أن يتعرف إلى مفهوم الجرائم الاقتصادية.	٩ ـ توضيح أن الإنسان مكرماً بتسخير الكون له.
١٠ ـ النهي عن القعود في الطريق.	١٠ ـ الدعوة لعبادة الله الواحد لا شريك له.
١١ ـ ربط تحصيل المال بالإيمان والأخلاق.	١١ ـ بيان عاقبة المكذبين.
١٢ ـ دعوة إلى فهم كيفية تغيير منهج التفكير.	١٢ ـ التعريف بأصحاب الأيكة.
١٣ ـ تأكيد على تجنب المعاصي ولو صغرت.	١٣ ـ التعريف بمفاهيم الإيمان والإسلام.
١٤ ـ تعزيز مفهوم الإصلاح.	

قصة رقم ١٦
أنبياء الله أيوب وذو الكفل واليسع وإلياس ويونس عليهم السلام

سلوكيات، أخلاق، قيم	إيمانيات
١ ـ دور الرياضة البدنية للجسد.	١ ـ بيان أنواع الصبر.
٢ ـ أهمية النظام والترتيب.	٢ ـ دعوة للصبر.
	٣ ـ النبوة منحة إلٰهية واصطفاء ربّاني.
	٤ ـ تأكيد على أن أكثر الناس بلاءً هم الأنبياء.
	٥ ـ توضيح للبلاء الذي أصاب النبي أيوب عليه السلام.
	٦ ـ دعاء سيدنا أيوب عليه السلام لرفع البلاء.
	٧ ـ عصمة الأنبياء.
	٨ ـ تحليل الله لأيوب عليه السلام من يمين حلفه.
	٩ ـ تجنب المبهمات والوقوف عندها.
	١٠ ـ صفات أيوب عليه السلام وإقباله الشديد على الله.
	١١ ـ تفصيل للسور المكية والمدنية حسب النزول.

❋ ❋ ❋

ذو الكفل واليسع وإلياس عليهم السلام

سلوكيات، أخلاق، قيم	إيمانيات
	١ ـ ذكر أسماء الأنبياء (ذو الكفل واليسع وإلياس عليهم السلام دون تفصيل لقصصهم.
	٢ ـ ثناء الله عليهم ووصفهم بالصابرين المرحومين الصالحين.
	٣ ـ عدم الخوض في المبهمات.

❋ ❋ ❋

نبي الله يونس عليه السلام

سلوكيات، أخلاق، قيم	إيمانيات
١ ـ تعويد على الصبر والتأني والتدرج في الأعمال.	١ ـ تعريف بأبواب النفس.
	٢ ـ تذكير بأسماء النبي يونس عليه السلام.
	٣ ـ تجنب النيل من منزلة سيدنا يونس عليه السلام.
	٤ ـ الحضّ على الصبر على طاعة الله وعلى الأذى.
	٥ ـ بيان سبب لوم الله لسيدنا يونس عليه السلام.
	٦ ـ تعزيز مفهوم أن الله يمهل ولا يهمل.
	٧ ـ بيان لرحمة الله بأنبيائه ولطفه.
	٨ ـ تصوير للمعجزات التي نالها سيدنا يونس عليه السلام.
	٩ ـ بيان مهمة الأنبياء عليهم السلام.
	١٠ ـ دعاء سيدنا يونس عليه السلام وتفضيله.
	١١ ـ معرفة بعضاً من صفات الله.
	١٢ ـ تعريف لبعض جنود الله.
	١٣ ـ بشرى المؤمنين ووعيد الكافرين.

❋ ❋ ❋

قصة رقم ١٧
نبيّ الله موسى عليه السلام

سلوكيات، أخلاق، قيم	إيمانيات
١ ـ التأكيد على أهمية تنظيم الوقت وتلافي الفوضى.	١ ـ معرفة أهمية القصص القرآني ودورها في إحقاق الحق ومحاربة الباطل.
٢ ـ تنويه إلى أهمية توطيد العلاقات الاجتماعية الهادفة.	٢ ـ تذكير بمعنى أولي العزم.
٣ ـ المداومة على ذكر الله.	٣ ـ التعريف بمفهوم فرعون.
٤ ـ تنبيه وتأكيد على بر الوالدين.	٤ ـ تأكيد أن الأنبياء جميعهم مسلمون.
٥ ـ أهمية التشجيع والتحفيز.	٥ ـ بيان سبب استعباد الفراعنة لبني إسرائيل.
	٦ ـ أفعال فرعون مع قومه.
	٧ ـ التعريف بسيدنا موسى عليه السلام ونسبه.
	٨ ـ نتعلم التسليم والتوكل على الله.
	٩ ـ بيان الطريق الربانية المضمونة في إنقاذ موسى الطفل.
	١٠ ـ إشارة إلى أن الإيمان الصادق واليقين باعث للطمأنينة.
	١١ ـ بيان قدرة الله عزَّ وجلَّ وعجز فرعون.
	١٢ ـ بيان دور امرأة فرعون في سلامة موسى الطفل.
	١٣ ـ الإرضاع إحدى معجزات سيدنا موسى عليه السلام.
	١٤ ـ حكمة أم موسى عليه السلام في سلوكها.
	١٥ ـ الله مدبّر هذا الكون.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أسلوب الكتاب

أ ـ اعتُمدَ سرد القصص عن طريقِ أسرةٍ مسلمةٍ ملتزمةٍ مؤلّفة من والديْنِ: أبي أحمد وأمّ أحمد، وأحمد وجميل وسامي، تنقل القيم والإيمانيات عن طريق الحوارِ والمناقشةِ للعودة إلى الفطرة السليمة ألا وهي التّلقّي والاستفهام، تنتقل الأسرة بين أماكن عدة لتتعرّف من خلالها على البلاد التي سكنها الأنبياء.

وحرصنا من خلال سردِ القصصِ إلى الابتعادِ عن الإسرائيليات، واستسقاءِ مادتنا العلمية فقط منَ القرآنِ الكريمِ والأحاديثِ الصحيحةِ.

ب ـ التركيزُ على الأهدافِ المعرفيةِ في نقل المعلوماتِ إلى الطلّابِ.

تحريكُ وجدانهم لجعلِهم يتقبَّلون المعلومات في قلوبهم ويتأثَّرون بها وجدانياً.

ت ـ محاولةُ نقل هذه المعرفة إلى السلوكِ اليوميِّ الحيِّ.

أسباب اعتماد القصة كأسلوب تعليمي تربوي هادف:

جاءَ الأمرُ صريحاً في القرآن الكريمِ حولَ أهداف القَصَصِ القرآنيِّ منها:

أ ـ **الهدفُ الأولُ**: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ لشحذِ العقولِ والأفكارِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ب ـ **الهدفُ الثّاني**: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ لتقديم العبر والعظات.

ت ـ **الهدف الثّالثُ**: ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ تثبيتُ القلوبِ على الدعوة.

والقصصُ القرآنيُّ يحقِّقُ هذه الأهداف الرائعة لكلِّ من سارَ على طريقِ رسولِ الله ﷺ في التربيةِ والدعوةِ، وفي الإصلاحِ والجهادِ والمواجهةِ.

ث ـ **الهدفُ الرابعُ**: توثيقُ المعلوماتِ التاريخيةِ.

ج ـ **الهدفُ الخامسُ**: تقريبُ المعلوماتِ بشكلٍ موثوقٍ.

ح ـ **الهدفُ السادسُ**: الوصولُ إلى الاستنتاجاتِ العلميةِ بشكلٍ غير مباشر وهو الأقربُ إلى القبول والحفظِ عند الطلّابِ.

* * * * * *

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أهمّ المصادرِ والمراجعِ التي اعتمدت

١ ـ **القرآنُ الكريم**.
٢ ـ **إحياءُ علوم الدين**: أبو حامد الغزالي، بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، خمسة أجزاء.
٣ ـ **البدايةُ والنهايةُ**: إسماعيل بن كثير الدمشقي، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٤م.
٤ ـ **الأحاديثُ الصحيحةُ من أخبار وقصصِ الأنبياء**: إبراهيم العلي، دار القلم، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
٥ ـ **تفسيرُ القرآن العظيم «تفسير ابن كثير»**: إسماعيل بن كثير بن كثير الدمشقي، دار الحديث، القاهرة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
٦ ـ **الجامع لأحكام القرآن «تفسير القرطبي»**: محمّد بن أحمد الأنصاري، القرطبي، مؤسسة مناهل العرفان، دمشق.
٧ ـ **جامعُ العلوم والحكم**: أبو فرج عبدالرحمٰن (ابن رجب)، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، جزءان.
٨ ـ **وجميع مراجع الأحاديث النبوية**: البخاري، ومسلم، وابن ماجه، والترمذي، والنسائي... ونخبة من مراجع قصص الأنبياء ألفت حديثاً. وغيرهم من المصادر والمراجع.

* * * * * *

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قصة رقم ١٥

نبيُّ الله شعيبٌ عليه السلام

نبيُّ الله شعيبٌ عليه السلام

أصابَ الأرقُ جميعَ أفرادِ الأسرةِ، بسببِ اهتزازِ السَّفينةِ التي تحملُهم إلى ميناءِ الإسكندريةِ لقضاءِ بضعةِ أيّامٍ فيها. وبالرَّغم من هَذَا الأرقِ، إلَّا أنَّهم نهضوا من أسرَّتهم مبكّرين، وصعدوا إلى سطح السفينةِ ليؤدُّوا صلاة الفجر هناك ويشاهدوا شروقَ الشمس.

شاهدهم أحدُ الرُّكابِ ـ وهو فتىً صغير في مثل سنّ أحمد ـ فاقتربَ منهم وسألَهم متعجّباً: ماذا تفعلونَ هاهنا؟ وكيف تصلّون وَقَدْ أشرقتْ شمسُ الصَّباحِ؟

فقال أحمد: فَقَدْ أرقْنا كثيراً ولم تغمضْ جفوننا إلَّا قبيلَ الفجرِ، فذهبَ وقتها، فصليناها قضاءً.

الفتى: أنا آسف، ولكنّ الشمسَ أشرقتْ وأنا أعلمُ أنَّ الصلاةَ في هَذَا الوقتِ منهيٌّ عنها.

فقال أحمد: هذا صحيحٌ، ولكنَّ الضّرورات تبيحُ المحظورات، وإذا لَمْ يستيقظ المسلمُ لصلاةِ الفجر في وقتها، صلَّاها قضاءً بَعْدَ شروقِ الشَّمسِ، ولكنّا لَمْ نتعرفْ على اسمك؟

الفتى: أنا سميرٌ؛ أشكركَ على هذه المعلوماتِ، لقد حلَلْتَ

مشكلتي، فأنا حزينٌ لأنِّي كنتُ أضطّرُ لترك هذه الصّلاة وتأديتها قضاءً، ثمّ ودَّعهم وعادَ إلى حيثُ أهله.

فأخذَ الأولادُ يُسرحون النظرَ بمنظرِ الشمس الخلّاب، فطمأنهم والدهم أنّهم سوفَ يرونها مرةً أخرى لأنَّ رحلتهم سَتستمرُّ يومين، فسرّ الأولاد كثيراً.

وطلبَ منهم والدهم الذَّهاب لتناول طعام الفطور فلبُّوا طلبه. وفوجئَ الأولاد بعددِ الرّكاب الكبيرِ، واندهشوا كثيراً، لأنهم يرون أناساً من مختلفي الأجناسِ والألوانِ.

اصطفّوا صفّاً واحداً، حتى وصلوا إلى حيثُ المسؤول عن الطعام فأخذوا مَا يناسبهم، وجلسوا يأكلون، وأعجبوا جدّاً بالنظامِ الغذائيّ وباتباعَ نظام الأكل في وقتٍ محدّدٍ.

وبعدَ الانتهاءِ من الطعام، أخذوا سارة ابنة خالتهم وذهبوا إلى السطحِ للَّعب معها والتّمتّع بمناظرِ البحرِ والأسماكِ.

وحَانتْ صلاة الظهرِ فوقف أحدُ الرّكابِ وأذَّنَ للصّلاة، فاجتمعَ الرّكاب جميعاً وصلُّوا خلفه جماعة ـ الظهر والعصر قصراً جمع تقديم ـ وما إنِ انتهتِ الصلاة حتَّى عاد المصلُّون كلٌّ إلى مَا كان يفعله. وذهب الأولادُ للتّنزه، فجأة شاهدوا الفتى ـ الذي رأوه صباحاً ـ وهو يرافقُ رجلاً يضعُ على عينيه نظارةً، فحيّوه بمحبةٍ، فردّ عليهم السلام، **فقال له أحمد**: لماذا تجلسُ وحدَك مع هَذَا الرجلِ؟ فأخبرهم أنَّه عمّه وأنه ضرير.

وأخذَ الفتى يكلّمهم عن عمّه الضرير، بأنه يشغلُ وقته بتلقي دروس العلمِ الدينيّ وحفظِ القرآنِ الكريمِ، وهو في ارتحالٍ مستمرٍّ في سبيل حضور دروس العلم.

الأولاد: باركَ الله به، فطلبُ العِلْمِ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ.

وأخذوا يكملون كلامهم وهم يتمشّون، وفجأةً سمعوا ربّان السفينة يعلنُ حلول موعدِ الغداء.

فذهبوا جميعاً إلى حيثُ المسؤول عن الطعامِ وأخذ كلٌّ واحدٍ نصيبه، وذهبَ إلى المائدةِ ليأكل ويتأمل البحر.

واستمتعَ الجميعُ بتناول الطعام دون مراقبة الآخرين، واتباعاً لقولِ سيِّدنا محمد ﷺ: «**منْ حُسْنِ إسلامِ المرءِ تركه مَا لاَ يعنيهِ**».

وعادُوا بَعْدَ ذلك إلى سطحِ السفينة، وأخذوا يداعبون ابنةَ خالتهم الصغيرة وصارتْ تحادثهم بمناغاةٍ جميلةٍ، مصحوبةٍ بابتسامةٍ ناعمةٍ.

قال جميل: أحسّ بنعاسٍ شديدٍ، سأنزلُ إلى قمرتنا وأقيلُ، فأيّدوه كلّهم ونزلوا معه لينالوا قسطاً من الرّاحة.

استيقظوا جميعاً وهم يحسّون بثقلٍ في رؤوسهم وأجسادهم، فأخبَرهم والدُهم أن لَا يقلقوا من ذَلِكَ، فهذا مَا يسمَّى بدوارِ البحرِ، فأحضرَ لهم العقاقيرَ والمشروبات الدافئة.

وأمضتِ العائلةُ رحلتها في السفينةِ بفرحٍ وسرورٍ، وتمنَّتِ العودة في رحلةٍ أخرى بالقريبِ العاجلِ.

وهكذا انتهتِ الرّحلة وحطّت السفينةُ مرساتها على الشاطئِ، ووصلوا بسلامٍ.

وفي اليوم الثالثِ استأجرتْ عائلةُ أبي أحمد باصاً سياحيّاً لينقلهم إلى شرمِ الشيخ، وفوجئوا بأنَّها ستستغرقُ ساعاتٍ طويلةٍ، إلَّا أنَّهم كانوا يحسّون بسعادةٍ بالغةٍ.

وهناك، استأجروا أحدَ الشاليهاتِ الكبيرةِ، ولجأوا إلى أسرّتهم، بَعْدَ أن اغتسلوا، فَقَدْ أصيبوا بكثيرٍ من الإرهاقِ.

وفي الصَّباح، وبعد أن تناولوا الفطور، خرجوا ليتمشّوا بقربِ البحرِ.

وبينما هم يتجوَّلون، وجدوا أطفالاً صغاراً يصفِّقونَ ويهرِّجونَ اقتربوا ليعرفوا مَا الخبر، فإذا بهم يرونَ رجلاً ضريراً يمسكُ عصاً، فهالهم أن يكون عمٌّ صديقهم فركضوا نحوه وسألوه عن سمير، فإذا هو قد ذهبَ ليشتري بعضَ الأشياءِ.

وما هي إلاّ دقائق حتّى عادَ سميرٌ، وفرحَ كثيراً لمّا رأى أصدقاء السفينة مع عمّه، فظنّ أنَّهم يسلّونه، لكنّه غضبَ كثيراً عندما علِمَ مَا فعلَه الأطفالُ بعمّه، فأخذَ الأصدقاءُ يخفِّفون عنه ويهدّؤون من روعهِ.

فقال أحمد: هذا ذنبُ أهلهم فهمُ لَمْ يربّوهم تربيةً صالحةً، ولم يعرفوا أنَّ هَذَا منهيٌّ عنه في كتابِ الله تعالى، قال تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ [الحجرات: الآية ١١].

فودّع الأولادُ صديقَهم سمير وذهبوا إلى مسكنِهم.

وفي المساء اجتمعت الأسرةُ، فأخبرَ الأولادُ أبويْهم بما حدثَ معهم، فأثنيا عليهم. وتابعوا سَهرتَهم وسمرَهمُ الذي كانَ يدورُ حولَ جمالَ الطبيعةِ في تلك المنطقةِ.

فقالت الأمّ: أتعلمونَ أنّ هناك نبيّاً من أنبياءِ الله سبحانه وتعالى كانَ يعيشُ بالقربِ من هذه المنطقةِ التي نحنُ فيها الآن؟

سامي: حقّاً، من هو؟

الأمّ: نبيُّ الله شعيبٌ عليه السلام.

هلّل سامي قائلاً: هل ستخبرينا عنه الآن؟

الأمّ: سأروي لكم قصَّته لاحقاً بإذنِ الله.

* * * * * *

لم يكُنْ أصدقاؤنا مُعتادين على الِابْتعادِ عَنِ الكُتُبِ والمطالَعَةِ، بل كانوا يستغلُّون جميعَ أوقاتِهم في قراءَتِها، والنَّهلِ مِنْ عُلومِها ومعلوماتِها، وكانوا لَا يَسْمحون لأنفُسِهم بإهمالِ دقيقةٍ دونَ أن يجِدُوا مَا يعملون بها أو يتعلَّمون، فهُم يعلمون جيّداً أنّ (الوقت كالسَّيفِ إن لَمْ تَقْطَعْهُ قطعك) كما يقولُ المثلُ السائِر. وَقَدْ قال قدماءُ المِصريين: الكُتبُ غِذاءُ الرُّوحِ.

ظل هَذَا دأبهم دوماً حتَّى في رِحْلاتهم التي يقومون بها للتَّرويحِ عَنِ النَّفْس، حيثُ كانوا يصطحبونَ فيها بعضَ الكتب، وهذا مَا فعلُوه أيضاً هذه المرة. أمسك أحمدُ كتاباً وفتحَهُ عَشوائياً فوجد فيه قِصةً لفتت نظره، فراحَ يقرؤها: (يُروى أنَّه جلس رجلٌ في بيتٍ، وأوْقَدَ فيه ناراً، فكثُر فيه الدُّخانُ حتَّى قتله، فقالت امرأتُه: أيُّ فتًى قتلَهُ الدُّخان؟ فقال لها رجلٌ: لو كانَ ذا حِيْلةٍ لَتحوَّلَ؛ أي: لو كانَ عاقلاً لتحول من ذلك البيتِ فسَلِمَ، . . .

ولا يحصُلُ المرءُ على هذه الحِيلةِ، وتلك الحِنْكَةِ والبديهةِ الحاضِرَةِ إلّا بالتأمُّل في قَصصِ الأوَّلين والحاضِرين، ومُحاكاةِ أولي الأيدي والأبصارِ، وملازَمَةِ أصحابِ العملِ والجِدّ والمُثابرةِ. . .)[1].

سُرَّ أحمدُ بهذه النَّصيحة، وقرَّرَ أن يُسْمِعَها لأهلِهِ وإخوتِهِ عندَ ٱجْتِماعِهم المَسائي، فالسَّمَرُ يطيبُ في المَساء، حَيْثُ الهُدوءُ وصفاءُ الروحِ وهذا مَا فعله. **فقالت أمه**:

ـ أرأيت! لهذا أَهْتَمُّ بِروايةِ قَصصِ الأنبياء، لِأَنَّهُم خيرُ البَشَرِ، وأنا أُريدُ أن أَجْعَلَكُم أحسنَ أبناءِ جيلِكُم، وأُحِبّ أَنْ أراكُم دَوْماً ناجِحين ومُتَفَوِّقين.

(١) صقر، خليل، **صناعة المستقبل**، بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص٩٢ ـ ٩٣ بتصرف.

الأب: وأنا أريدُ أن تقرِنُوا العِلمَ بالعَمَلِ، وتَنْقلوا مَا تتعلَّمونَ إلى أصدقائِكم وتُساعِدوا كلَّ مَنْ هُمْ بحاجةٍ إلى مُساعدتِكُم، فعندما نعيش لِذَواتِنا فَحَسْبُ، تبدو لنا الحياةُ قصيرةً ضئيلةً، تبدأُ مِنْ حيثُ بَدَأْنا نعي، وتنتهي بِانْتِهاءِ عُمْرِنا المحدودِ. أمّا عندما نعيش لِغَيْرِنا، فإنَّ الحياةَ تبدو طويلةً مُمْتِعَة، تبدأُ مِنْ حَيْثُ بدأتِ الإنسانيةُ وتمتدّ بَعْدَ مُفارَقتِنا لوجْهِ هذه الأرضِ[1]....

والمَثَلُ يقول: (العِلْمُ بلا عَمَلٍ كالشجرةِ بِلا ثَمَر).

الأمُّ: وهذا مَا بَذَلَه نبيُّ اللَّهِ شُعَيبٌ عليه السلام من جهدٍ في سبيل هدايةِ شعبه، فهو يعلمُ مَا لَا يعلمون، وحاولَ أن يعلّمهم لينجوا بأنفسهم ويفوزوا بالآخرةِ، إلَّا أنَّهم عصوه، ولم يقبلْ دعوته ويطعْه إلَّا القليلُ منهم. ألا تريدون سماعَ قصَّة هَذَا النبِّي؟

سامي: بلى، بلى.

الأمُّ: شعيبٌ اسم النبيِّ والرسول الكريم عليه السلام الذي بعثَه الله رسولاً إلى قومِ مدين.

ومدين قومٌ من العربِ، وشعيبٌ عربيٌّ، مثله في ذلك مثل هود وصالح عليهم السلام اللَّذين كانا نبيَّين عربيَّين، مبعوثين إلى قبيلتينِ عربيَّتينِ: عاد وثمود.

وشعيبٌ اسم عربيٌّ مشتقٌّ من «الشَّعب» و«الشعب: القبيلةُ المتشعبةُ من حيٍّ واحد».

---

(١) المطوع، جاسم، محمد بدر، **الوقت: عمار أو دمار**، ط٢، الكويت، مكتبة المنار الإسلامية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص٣١ ـ ٣٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شعيبٌ عليه السلام بعثه الله نبياً إلى قوم مدين، (وسمِّيتِ الأيكةُ وهي من الأيك: جمعُ أيكة). وهي الشجرُ الملتفُّ، وقال تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾.

فالأيكة: هي الغابةُ من الأشجارِ الكثيفةِ، التي كانَ قومُ مدين يسكنون فيها أو قريباً منها، فدمّرهم الله، وأزالَ أيكتَهم وغابتَهم وغيضتَهم، لمّا كذّبوا شعيباً عليه السلام.

أما أينَ تقعُ مدين: فإنَّ أرض مدين كانتْ قريبةً من قرى قوم لوطٍ عليه السلام من حيثُ الموقع الجغرافي. فإذا كانَ قومُ لوط يقيمون في منطقةِ البحرِ الميّتِ في الأغوارِ، فإنَّ أرض مدين كانتْ قريبةً منهم في الجنوبِ الشرقيِّ.

ولعلَّ أرض مدين كانتْ في منطقةِ وادي عربة وما حولها من جهةِ الغربِ، ومن جهةِ الشرقِ.

أما من حيثُ الزمان: وجودُهم كانَ بَعْدَ إبراهيمَ ولوطٍ عليهما السلام. فبينَ إبراهيم ولوط وبينَ شعيبٍ عليهم الصلاة والسلام فترةٌ زمنيةٌ يسيرةٌ. والدليلُ على أنَّ شعيباً كانَ قريباً زمنياً من إبراهيم عليه السلام، هو مَا وردَ في قول الله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾﴾ [هود: الآية ٨٩].

إنَّ قوم لوط قريبين من قوم مدين، وليسوا بعيدين عنهم، وقربهُم منهم قرب مكاني جغرافي أولاً، ثمَّ قرب زماني تاريخي بَعْدَ ذلك. والله أعلم[1].

جميل: دوماً تقولين ـ والله أعلم ـ.

الأم: العِلمُ لله يا ولدي، وهو صِفة مِن صِفاتِه، يُمِدُّ به بعضَ عبادِهِ مِمَّن يحبُّ ٱلِاسْتِزادَةَ مِن العلم، والتَّعَرُّفَ على الأشياء، وكما قال سيِّدنا

(١) خالدي، صلاح، **القصص القرآنيُّ** الجزء الثاني، ص١١ ـ ١٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

محمد ﷺ: «**طَلَبُ العِلم فريضةٌ على كلِّ مسلم**»(١). وقيل: «**العِلمُ بالتّعلُّم والحِلمُ بالتَّحلُّم**»(٢)، وقدَ عرفتُ منذُ كُنّا في البَيْتِ أننا سوفَ نأتي إلى هنا ونَقُصُّ سِيرةَ هَذَا النبيِّ الكريمِ، لذا جَمعتُ معلوماتي عنه وٱسْتَذْكَرْتُ نَسَبَهُ. . . .

جميل: أي أنك كُنْتِ تُخَطِّطينَ لِلْمُسْتقبَل!

الأم: طبْعاً، يجب على الإنسان أن يُخَطِّطَ لِكُلِّ مَا عليه فِعلُه، وإلاّ يكونُ عَمَلُهُ ارْتجالِيّاً ومُعَرَّضاً لِلْفَشَلِ. وما أنا إلّا مِمّنْ يُحِبّون أن يَتَعَلَّموا ويتفهّموا، لذا تَرَوْنَني أُكْثِرُ مِنَ المُطالَعَة. . . .

واستأنفت الأمُّ كلامها: هذا النبيُّ العربيُّ وَرَدَ ٱسمُهُ في القُرآن إحدى عشْرةَ مَرَّةً في أربعِ سُوَرٍ: «الأعرافِ، هودٍ، الشعراءِ، والعنكبوتِ»، جميعُها تبدأ قِصَّتَها بـ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [هود: الآية ٨٤]، إلَّا سورةَ الشعراءِ فإنها تبدأُها بتكذيبِ قومِهِ إيّاهُ: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [الشعراء: الآيتان ١٧٦ ـ ١٧٧].

أحمد: جزاك الله خيراً يا أماه على هَذَا التوضيح ولكن لديَّ أيضاً سؤال آخر، وأعتقد أنَّه مهم. لماذا قال الله تعالى في سورةِ الأعرافِ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأعراف: الآية ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ [الأعراف: الآية ٨٠].

أما في حديثهِ عن شعيبٍ عليه السلام قال: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: الآية ٨٥]، كما قال: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: الآية ٦٥]، وقال: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [الأعراف: الآية ٧٣].

---

(١) رواه البيهقي وابن عدي عن الإمام مالك. وعدّه السيوطي من الأحاديث المتواترة.
(٢) عن الإمام علي بن أبي طالب.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الأم: لا، فلقد أرسلَ إلى قومِ نوحٍ نوحاً، وإلى قوم عادٍ هوداً، وإلى قومِ ثمودٍ صالحاً، وأرسل إلى مدينَ والأيكة شُعَيباً.

أحمد: فلماذا قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الشعراء: الآية ١٧٦]، ما دام لَمْ يرسِلْ بالفِعل إلَّا نبيّاً واحداً؟

الأم: هذا ـ بالفعلِ ـ سؤالٌ مُهِم، لأن الإيمانَ هو أنْ نؤمِنَ باللَّهِ وملائكتِهِ وكتبِهِ ورُسُلِهِ، دُوْنَ تفريقٍ بين أحدٍ منهُم، فمجردُ إنكار واحدٍ منْ هذه الأركانِ، أوِ التفريقِ بينَ واحدٍ من الرسلِ هو تكذيبٌ لِلجميعِ وكفرٌ باللَّهِ تعالى.

فنقفُ وقفةً سريعةً مع سورة الشعراء مع قصّةِ شعيبٍ عليه السلام، كما قال تعالى أيضاً في سورةِ الشعراء جميع المرسلين إلى أقوامهم كقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء: الآية ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الشعراء: الآية ١٢٣]، وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الشعراء: الآية ١٤١]، وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الشعراء: الآية ١٦٠]، وبعدها يذكر الله عز وجل: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الشعراء: الآية ١٧٦]، لِمَ؟ لأنَّه من كذَّب برسول واحد فَقَدْ كذَّب بجميع الرسل، لِمَ؟ لأنَّ جميعَ الرّسلِ أتتْ برسالةٍ واحدةٍ، وهي رسالةُ التوحيدِ التي تدعو إلى توحيدِ الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٢٥]. إذاً فمن كذَّب بنبيِّنا محمد ﷺ فمن بابٍ أولى أنَّه كذَّب بجميعِ الرّسلِ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: الآية ٨١]، يعني: إذا أتى محمّد وهمْ أحياء فعليهِم أنْ يتَّبعوه وعلى قومِهم أن يتَّبعوه، فجميعُ الرسل السابقينَ دعوتِهم كلّهم هي دعوة التوحيدِ، ولذلك

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جميعُ الرسلِ السابقينَ الذين أُرسلوا ذَكروا مَا ذكرَه شعيبٌ عليه السلام من أنَّه أمرَ بالتقوى وأنه من المرسلين(١).

وهذا مَا مَدَح به الله عزوجل رسولَهُ محمداً ﷺ والمؤمنين: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة: الآية ٢٨٥].

جميل: لماذا قالَ الله تعالى في حديثِهِ عن سيِّدنا شعيبٍ: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ﴾ ولم يَقُلْ (قومَ شعيبٍ) كما قال: (قومَ نوحٍ) و(قومَ إبراهيمَ) و(قومَ لوطٍ).

الأم: ذلك لأنَّ قومَ شعيبٍ و(هودٍ) و(صالحٍ) كانَ لهُمْ نَسَبٌ معلومٌ اشْتَهَروا بِهِ عِنْدَ الناسِ... فقومُ شعيبٍ هم قبيلة مَدينَ، وقومُ هودٍ هم قبيلةُ عادٍ، وقومُ صالحٍ هم قبيلة ثمود، أما قومُ نوحٍ وإبراهيمَ ولوطٍ فلم يكن لهم ٱسمٌ خاصٌ، ولا نِسبَة مَخصوصةٌ يُعرَفونَ بها، فعُرِفوا بالنبي(٢).... كما أنّ كلًّا من هود وصالح وشعيب عليهم السلام كلّ واحد منهم كانَ من قومهِ وقبيلتهِ، وإبراهيمَ ولوطاً عليهما السلام لَمْ يكونا من أبناء قومِهما.

وأكملتِ الأم كلامَها: كانَ أهلُ مَدينَ متأكّدين من نُبُوَّةِ «شُعَيْبٍ» عليه السلام، وهو النبي الذي بيّنَ لهم فسادَ عقيدتِهم وسوءَ أعمالِهم، ودعاهُم إلى عِبادَة اللَّهِ، والخَوْفِ منه وطاعَتِه وٱمتِثالِ أوامِرِهِ، وتَرْكِ مَا هم عليه مِنْ عبادَةِ غيرِ اللَّهِ، وَتَرْكِ الأفعالِ السَّيِّئةِ مِنْ تطفيفِ الكيلِ والميزانِ،

(١) الميداني، حبنكة، معارج التفكر ودقائق التدبر، المجلد الثامن، ص٦٤٤ بتصرف.
(٢) الخالدي، صلاح، **القصص القرآنيُّ عرض وقائع وتحليل أحداثُ**، الجزء الثاني، ص١٢ - ١٣ بتصرف.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والاعتداءِ على النّاسِ وقطْعِ الطريقِ عليهم، ولكنّهم مَعَ علمهم هَذَا كانوا يُعارِضونه ولا يُطيعونَهُ.

ولو عرفنا قِصةَ هَذَا النَّبِيِّ مَعَ قومه لَرَأَيْنا تَشابُهاً كبيراً بينَ واقِعِنا اليومَ وما كانوا هُم عليهِ.

جميل: وكيف هذا؟

الأم: كما قُلتُ لكم، تَبْدأُ قِصة هَذَا النبيِّ بدَعوته قومه لعبادَةِ اللَّهِ الواحِد، الذي لَا إلٰهَ إلَّا هو، ثمّ يَنْطَلِقُ لأَمْرِهم بالمعروفِ ونَهْيِهم عَنِ المُنْكَرِ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأعراف: الآية ٨٥]، ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [هود: الآيتان ٨٤ ـ ٨٥].

جميل: لاحظتُ شيئاً. لقد قَرَنَ سيِّدُنا شُعَيْبٌ دعوتَهُ قومَهُ لتوحيدِ اللَّهِ تعالى بِحَثِّهِم على إيفاءِ الكيلِ والميزانِ وعدمِ الإفْسادِ في الأرض. فهلِ الإفسادُ في الأرضِ يعدُّ كُفراً بالله؟

صَفّقَ الجميعُ تَرْحيباً بهذه الفِكرةِ وانْتَظروا الجوابَ.

الأم: طبعاً، طبعاً، إذا كُنْتُم تعلَمونَ لماذا خَلَق اللَّهُ الإنسانَ، تتأكَّدون من هذا. فلماذا خلق الله الإنسان؟

أحمد: لِيَعْبُدَ الله تعالى. وهذا مَا يُؤَيّدُه قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: الآية ٥٦].

وعبادةُ اللَّهِ تكونُ بمعرفتِهِ أوّلاً، أنَّه سبحانه وتعالى الربُّ الخالِقُ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لهذا الوجودِ، المُتَصرِّفُ فيه، ثمّ طاعته والامتثال لأوامِرِه واجتنابِ نواهِيه.

جميل: ولقد كَرَّمهُ اللَّهُ على سائرِ المخلوقاتِ فقال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: الآية: ٣٠]، فما معنى خليفة.

الوالد: الخليفةُ هو الذي يُنَفِّذُ شريعةَ اللَّهِ، ويُطَبِّقُها كما أراد اللَّهُ، وفق أمرِهِ ومشيئتِهِ.

سامي: عندما كُنّا في السَّفينةِ سمِعْتُ الرجُلَ الكفيفَ عمَّ صديقِنا سميرٍ يُرَتِّلُ بعضَ آياتِ القرآنِ الكريمِ ويقول: ﴿. . . لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: الآية ٢] فهل هَذَا هو الجواب؟

الأم: نعم؛ صحيح.

سامي: ولكنِّي لَمْ أفهمْ مَا معنى لِيَبْلُوَكم. هل خَلَقَنا ليُنَزِّل علينا البلوى تِلْوَ البلوى؟

الأم: لا، ليسَ هَذَا المقصود من هذه الكلمةِ، ولكنَّها تعني: ولكنَّها تعني: يمتحِنكُم ويختبرُكم، ليعلم مدى إخلاصِكم وصدقِكم بما آمنتمْ وحسنُ اتباعِكم لِهَدْيه، هَذَا مع العلمِ أنَّ الله يعلمُ السرّ وما أخفى بعلمهِ الأزليّ.

جميل: هذه أولُ مرَّة تذكرين هذه الجملة ـ بعلمه الأزليِّ ـ فما تقصدينَ؟

الأم: لمْ أخبرُكمْ هذه المعلومة سابقاً في قصّة آدم عليه السلام، لأنَّكم كنتم صغاراً لمعرفة هذه المعلومات المهمة جدّاً التي يجبُ أن يتعلمها كلّ إنسان قبلَ سنِّ البلوغِ، حتَّى إنْ بلغ يكونُ قد علم أنَّه محاسبٌ من حينها وصحيفته ستبدأُ بتسجيلَ حسناتهِ وسيئاتهِ، والآنَ وبعد أن قطعنا شوطاً كبيراً في سردِ قصصِ الأنبياءِ، عليَّ أن أشرحَ لكم هذه المعلوماتِ بالتفصيلِ حتَّى نَعي جيداً قصةِ شعيبٍ عليه السلام.

جميل: وهل سؤالي هو السبب؟

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سامي: لا، سؤالي هو السبب؟

الأم: كلاكما على صوابٍ، فسؤالُ جميل هو الذي سيوضِّحُ لنا سبب الابتلاء والاختبار والامتحان...

تابعتِ الأمُّ وقالت: دلَّت الأصول القرآنية والنبوية أنَّ تقدير أمور الخلائقِ تمّ في علم الله ﷻ قبل أن يخلقهم(١).

(وقد قال ابن كثير: وهو تعالى العالمُ بما كانَ، وما يكونُ، وما لم يكن لو كانَ كيف كانَ يكون، فيعلم الشيءَ قبل كونه، ومع كونهِ على مَا هو عليه، لَا إلٰه إلَّا هو، ولا ربَّ سواه، ولا رادَّ لما قدّره وأمضاه)(٢).

أي: أنَّ الله ﷻ كانَ ولم يكن معه شيءٌ، فهو الأحدُ، المنفردُ بالخلقِ وحده لَا شريك له، ولمّا أرادَ الله الحكيم خلْقَ هَذَا الوجودِ، لحكمةٍ يريدها سبحانه، أوجدَه متقناً متناسقاً، ولم يخلقه لهواً ولا عبثاً ولا لعباً، سبحانه.

والدليلُ على ذلك حينما عرضَ الله ﷻ الأمانة على أهلِ

---

(١) عمر الأشقر، **القضاء والقدر**، ص٣٠.

(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، المجلد الثاني، ص١٤٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

السماواتِ والأرضِ والجبالِ فأبتْ أن تحملها خشيةً ومخافةً لأنَّ العرضَ كانَ تخييراً، وحملها آدم عليه السلام، حينما أخذ الأمانة، وأنه سيدخل رحلة الامتحان في الوقت المقدّر له، منذ بلوغه سنَّ التكليف حتَّى وفاته، ثمّ تكون له حياة أخرى للحساب ونيل الجزاء الذي علمه الله من الأزل.

تابعت الأمّ كلامها: بما أنني شرحت لكم معنى «علم الله الأزليّ»، وأنّ الله عز وجل ـ لحكمةٍ لَا نعلمها نحنُ ولكنَّ الله علمها ـ أراد سبحانه خلق هَذَا الكونِ لحكمةٍ عظيمةٍ تظهرُ آثارِ أسمائه، وآثار رحمتهِ، وآثارَ قدرته، وآثارَ حكمته، وآثارَ جبروته، خلقَ الله الخلقَ ليرحمَهم وليظهرَ علمه وحكمته وجبروته وقدرته، وهو عز وجل غنيٌّ عن جميعِ مخلوقاته وجعلهم جميعاً فقراء إليه.

لم يشهدْ أيُّ مخلوق، كيف خلقَ الله الكون ـ كما قلتُ لكم سابقاً ـ لَمْ يشهدْ أحد خلقَ السماواتِ والأرض ولا يستطيعُ أحد في هَذَا الكون أن يدّعي أنَّه شهدَ خلقَ السماوات والأرض... من يذكر هذه الآيات؟

أحمد: أنا أذكرها جيّداً، هي في سورةِ الكهف، وَقَدْ حفظتُ هذه السُّورَة لتقيني الفتنَ، قال تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾ [الكهف: الآية ٥١]. تلاها بخشوعٍ تامٍّ وَقَدْ أتقن التلاوة بالتجويد، وصوتٍ شجيٍّ تقشعر منه الأبدان.

الأب: لا فضّ فوك بنيّ، بارك الله بك، إنَّ لك بإذن الله تعالى شأن، فَقَدْ أعطاكَ الله مزاميرَ داود. أدعو الله لك ولإخوتك أن تكونوا من حفظة القرآن، لننالَ رضى الرحمٰن.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الجميع: آمين يا ربَّ العالمين.

الأم: سأشرحُ لكم الآيات حتَّى نكون قد تدبَّرنا معانيها، لَمْ يشهدْ أحدٌ خلق السماوات والأرض، لكي لَا يكون هناك حجة لمن يتخذ نفسه إلٰهاً فيعبده النَّاس، فالله سبحانه هو الخالقُ وهو الأولُ والآخرُ والظاهرُ والباطنُ....

الأولُ ليس له بداية، والآخرُ ليس له نهاية ـ وهذا معنى الأزليّ ـ وليسَ بعده شيء، وهو الظاهرُ ليس فوقه شيء، وهو الباطنُ فليس دونه شيء... لَمْ يلدْ ولم يولدْ ولم يكنْ له كفواً أو نداً أو مثيلاً، أو شبيهاً[1].

وقد روي عن رسول الله ﷺ قوله: «**كانَ اللهُ ولم يكنْ قبله شيءٌ وكانَ عرشه على الماءِ وكتب في الذكر كلّ شيء ثمّ خلق السماوات والأرض**»[2].

وروى البخاريُّ في حديثٍ عن عمرانَ بن حصينٍ قال: قال أهلُ اليمنِ لرسولِ اللهِ ﷺ: جئناك لنتفقّه في الدّينِ ولنسألك عن أول هَذَا الأمر، فقال: «**كان الله ولم يكنْ شيء قبله، وكانَ عرشه على الماءِ، وكتب في الذكر كلَّ شيءٍ وخلق السماوات والأرض**»[3].

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: الآية ٣].

---

(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **سيرة آدم عليه الصلاة والسلام**، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٣م، ص٩.

(٢) رواه البخاري، عن عمران بن حصين، برقم ٣١٩٠، كتاب بدء الخلق، باب: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾.

(٣) رواه البخاري، عن عمران بن حصين، برقم ٧٤١٨، كتاب التوحيد، باب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مرَّت على هَذَا الوجود فترةٌ زمنيةٌ ليس فيها إلا الله تعالى، وحده لَا شريك له، فخلقَ الماءَ وخلق دخاناً، وخلقَ عرشه على الماء[1]، ولا يرادُ بذلك الماء ماء المحيطاتِ والبحارِ والأنهارِ، فهذا الماء ماءٌ خاصّ، ووضع في مكان خاصّ، وجعل العرش عليه بكيفيةٍ خاصةٍ لَا يعرفها بشر.

وحتَّى لَا أطيلَ عليكم سأسردُ سريعاً مَا تمّ بعدها[2]، إلى أن وصلت....

---

(١) لا نسأل كيفية ذلك ولا مكان الماء ولا أين خلقه، فكل ما نعرفه أنَّ الماء مخلوق، وأنَّ عرشه على الماء، وأنَّ هذا كان قبل خلق السماوات والأرض والإنسان.

(٢) قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أول ما خلق الله القلم، فقال: اكتب. فقال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد**». [رواه الترمذي، رقم ٤/٤٥٨، برقم ٢١٥٥، كتاب القدر، باب: ما جاء في الرضا بالقضاء، حديث حسن صحيح، وفي رواية للترمذي: «**قدّر الله المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة**»، برقم ٢١٥٦.

وقال ﷺ: «**إنّ أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، قال: يا رب وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كلّ شيءٍ حتّى تقوم السَّاعة من مات على غير هذا فليس منّي**»، صحيح الجامع، برقم ٢٠١٨.

وقال رسول الله ﷺ: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**» رواه مسلم، برقم ٢٦٥٣، كتاب القدر، باب: حجاج آدم وموسى.

المرحلة الأولى في نشأة الكون:

بداية الخلق قبل وجود السماوات والأرض لم يذكر فيها الحق سبحانه سوى العرش والماء واللوح والقلم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ [هود: ٧]، المرحلة الأولى كانت في وضع الرتق والدخان، قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا﴾ [الأنبياء: ٣٠] ففي الحديث الذي رواه مسلم والذي ذكر فيه مراحل خلق جميع الخلائق ذكر فيها النبي ﷺ سبعة أيام؛ فمن حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: **خلق الله ﷻ التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم=**

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عندما أرادَ اللهُ سبحانَه أن يخبرَ الملائكة أنَّه جاعلٌ في الأرض خليفة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً

= **الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل»**، رواه مسلم، في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام ٤/٢١٤٩ (٢٧٨٩).

ثم عرض الله ﷻ الأمانة على الكائنات فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ورفضنها، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢].

لكن ما حقيقة الأمانة التي عرضت على الكائنات؟ ولماذا ومتى تم عرضها؟ صح عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسيره آية الأمانة أنه قال: «يعني بالأمانة الطاعة عرضها عليهم قبل أن يعرضها على آدم فلم يطقنها فقال لآدم إني عرضت الأمانة على السماوات والأرض والجبال فلم يطقنها، فهل أنت آخذ بما فيها، قال: يا رب وما فيها؟ قال: إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت، فأخذها آدم فتحملها». أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ٢/٤٥٨. [وفي تذييل القصة سنسرد باقي الأحاديث التي تتحدث عن الأمانة مع عرض قدمه الدكتور حسن حبنكة الميداني عرض بين الربّ ﷻ وبين السماوات والأرض والجبال، وآدم عليه السلام].

وبعد أن خيَّر الله ﷻ السماوات والأرض والجبال في قبول الأمانة أو رفضها، وبعد ممارسة حقِّهنّ في الاختيار ورفضهنّ لها، كان من كمال عدل الله ﷻ أنه خيَّرهنَّ مرة أخرى لكنَّ التخيير هذه المرة لإظهار الرضا منهن في الطاعة لأمره والاستجابة لحكمه، إذا كلفهنّ بعمل ما أو سخرهنّ لوظيفة ما حتى وإن كانت لصالح الإنسان الذي قبل الأمانة، فاخترن جميعاً الطاعة والخضوع لله ﷻ، يكلفهنَّ بما شاء وسوف يلتزمن بأحكام القضاء تمام الالتزام فقال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت: ١١]، وبهذا التخيير الثاني قامت المخلوقات في السماوات والأرض على محبة الله والرضا بأمره في العمل على استقرار الكون وأمنه، وبقائه على الدوام ثابتاً في دقة وأمان كي تتكامل معاني الأمانة التي حملها الإنسان، هاتان المرحلتان تحققان حكمة الله في ابتلاء الإنسان وقيام الخلائق على الحق والميزان، فالمرحلة الأولى كانت في وضع الرتق والدخان، والمرحلة الثانية بعد خلق آدم وكما نراه الآن، وكل ذلك تم في عدة حقب زمنية الله أعلم بمقدارها، وهي مدة طويلة ربما ولا معارضة. (الرضواني، محمود عبدالرازق، **الإنسان وبداية الكون**، القاهرة، مكتبة سلسبيل، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٥٥ ـ ٥٦ بتصرف.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ [البقرة: الآية ٣٠].

الأب (مقاطعاً): ألا نخرجَ لقضاء السَّهرةِ أمامَ البحر؟ هل جئنا لنحبسَ أنفسنَا داخلَ الشاليه!!

الأولاد: نخرجُ ونتابعُ القصّةَ هناك.

وهكذا كانَ ـ وكاد المنظر ـ منظرُ البحرِ في اللَّيل والسَّماء الصّافية تعكس صورة قمرِها ونجومِها في المياه الصافية يسلُبُ عقولهم إلَّا أنَّهم انتشلوا أنفسَهم من هَذَا السِّحر، ليتابعوا قصّةَ نبيِّ الله شعيب عليه السلام.

تابعتِ الأمُّ سَرْدَ القصّة فقالت: دلَّت الآيات القرآنية على أنَّ الكون مرَّ في نشأتهِ بمرحلتين، بدأت الأولى منها بخلق الأرض ثمّ السَّماء، والمرحلةُ الثانية بدأت بتهيئة السَّماء ثمّ دحو الأرض وتثبيت الجبال، قال تعالى: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ [النازعات: الآيات ٢٧ ـ ٣٠]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت: الآيات ٩ ـ ١٢].

الأولاد: سبحانَ الخلَّاق العظيم.

أحمد بدأَ بالعدِّ **فقال**: ولكن ذكرت أنَّ الأرضَ والسماء خلقت في ستَّةِ أيامٍ، ولكنْ في هذه الآيةِ وردتْ في ثمانيةِ أيام.

الأبَ: وهذا هو الدليلُ على أنَّ الكون مرَّ على مرحلتينِ في نشأته، وكلُّ هَذَا حتَّى تستقرَّ الأرضُ للإنسانِ متاعاً له على وجه الابتلاءِ والامتحانِ.

جميل: كدتُ أنسَى سؤالي الذي جعلكِ تسردي لنا منذُ البدايةِ قصَّةَ الخلافة.

أحمد: أحفظُ الآيةَ التي تذكر تكريم الله ﷻ لهذا الإنسان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: الآية ٧٠].

سامي: كلُّ هَذَا الشرح لتقولي لنا السببَ في قولِ الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا...﴾ - أخطأ سامي بتلاوتها -.

الأم: نعم لأشرح لكم معنى قول الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.

أحمد: إنَّها في سورةِ البقرة وفي أوائلها وَقَدْ بدأتُ بحفظِها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا

ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة: الآيات ٣٠ ـ ٣٩].

جميل: هذا هو سؤالي... مَا معنى خليفةَ... احتاجتْ كلَّ هَذَا الشرحِ....

سامي: أما أنا لا زال السؤالُ غامضاً....

ابتسمَ الجميعُ على تعليقِ جميل وسامي.

فقالت الأم: لنْ أطيلَ عليكم هذه المرَّة، هَذَا معناه: أنَّ الملائكة علمتْ من معنى الاستخلافِ نفسه لأنَّ المستخلفَ في الشيءِ أمينٌ عليه، فيمكن أن يؤديهِ صاحبه ويمكن أن يستحوذَ عليه ويستأثرَ به لنفسه ظلماً وكفراً بالحقوقِ، ويمكنْ أن يؤدي إلى الغدرِ والقتلِ وسفكِ الدماءِ، فالملائكةُ علمتْ أنّ الإنسان يمكنُ أن يفعلَ ذلك لو استخلفه الله في الأرضِ فهذا يعني أنَّه أَمَرَهُ بالإصلاحِ فيها، وعدم الإفسادِ وعدم سفْكِ الدماءِ، أي: القتل. فالإنسانُ حتَّى يكونَ خليفةً للَّهِ في الأرضِ عليه أن يكون صالحاً، مؤمناً بربِّه طائعاً له، مُصلِحاً يدعو الناسَ للإصلاحِ وينشُرُ بينهُم دينَ الله، فإذا قام بوظيفتِهِ خَيْرَ قِيام كَانَتْ حياتُه على هَذَا الكوكب سعيدةً وساد السلامُ، أما إذا أهمَلَ واجباتِه، وفسد بكُفرِه وضَلالِهِ، وأفسَدَ في الأرض بالاعتداءِ على أعْراض الناسِ وأموالِهم وأرواحهم وسفْكِ الدّماءِ فإنه لَا يستحقّ هذهِ الخِلافة، ويحقّ عليهِ غَضَبُ اللَّهِ، ومَثَلُهُ سيكونُ مَثَلَ إبليسَ اللعين، الذي أَقسَمَ أنْ يمنَعَ الإنسانَ من إحكام طاعتِهِ لله، قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [صٓ: الآيتان ٨٢ ـ ٨٣]، فمن يطعِ اللَّهَ يكنْ مؤمِناً، ومَنْ يطعِ الشَّيطانَ يكنْ كافِراً. هل هَذَا واضح؟

الأولاد: أجل.

الأم: إذاً هم يستحقّون عقابَ الله.

الأولاد: بالطبعِ.

الأب: وهذا مَا قاله اللَّهُ تعالى لإبليسَ عندما هدَّد بإغواءِ بني آدمَ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: الآية ١٨].

أحمد: هذا يعني أنّ قومَ سيِّدِنا شُعَيب عليه السلام قد ظهر فيهِمُ الفَسادُ؟

الأم: أجل، وما أشدّه من فسادٍ! لقد كانوا يَتلاعبونَ بالمكاييلِ والموازينِ ويُطَفّفون.

سامي: ما معنى يطفِّفون؟

الأم: يتلاعبون في الكيلِ والوزنِ، فإذا أرادَ أحدُهُم بَيْعَ شيءٍ لمُشترٍ أعطاهُ أقلَّ من حقه، وإذا أرادَ شراءَ شيءٍ فإنه يزيدُ على المطلوب. وَقَدْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ تعالى في كتابِهِ الكريم في سورَةٍ مُسَماةٍ بِاسمِهم «المُطَفِّفين» بقوله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: الآيات ١ ـ ٦].

الأب: وكانوا يُؤذون النّاسَ، ويَقْطَعونَ عليهِمُ الطُّرُقاتِ، فيمنعونَهُم مِن قَضاءِ حوائجِهم، أو مِنَ الذَّهابِ إلى شُعَيْبٍ خَوفاً مِنْ أن يُؤمِنوا به ويطيعوهُ.

الأم: إنّ اللَّهَ سُبْحانَهُ وتعالى يحمي أَنْبِياءَه ويَنْصُرُهم، وهو الذي يخبرُهم بما يُدبَّرُ لهم في الخَفاء.

جميل: وماذا فعل سيِّدُنا شعيبٌ عليه السلام؟

الأم: ظلَّ يَنهاهُم، ويحذِّرُهُم مِن سوءِ عاقِبَتِهم، لإفسادِهم في الأرضِ، ويُذَكِّرُهم بما حَصَل للمُفْسِدينَ مِنَ الأقْوام التي غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْها

ودمَّرها ويقولُ لهم: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ [هود: الآيتان ٨٩ ـ ٩٠].

الأب: لَدَيَّ مُداخلةٌ لطيفةٌ. قولُ سيدِنا شعيب: ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ يحمِل عدةَ معانٍ وكلُّها صحيحةٌ، منها: أنّ قومَ لوطٍ كانوا يَقْطُنونَ في مكانٍ قريبٍ مِنهمُ جُغرافياً، وَلَو نَظَرنا في الخَريطةِ للاحَظْنا هَذَا القربَ أنّهما يبدُوَان متجاورَيْنِ. والمعنى الثاني: أنهما قريبان زمنِيّاً وهذا أيضاً صحيح، وكل نبيّ يجد عند قومه جرائم خاصة، صدرت منهم وتعمقت فيهم، إضافة إلى الجريمة الأكبر والأشنع، وهي الكفر بالله والشرك به، وعبادة الأصنام والأوثان، وجعلها آلهة مع الله.

فهودٌ عليه السلام وجدَ عند قومِ عادٍ التكبُّرَ والظلمَ والاستعلاءَ والتجبّرَ على الآخرين.

ولوطٌ عليه السلام وجدَ عند قومه أسوأَ جريمةٍ وأخبثَ سلوكٍ، وهو شذوذهم وإتيان الرِّجالِ شهوة من دونِ النِّساءِ.

وصالحٌ عليه السلام وجدَ عند قومِ ثمود الاغترارَ بالنعمة الإلٰهية عليهم في استعمارهم في الأرضِ، ونحتِ البيوتِ في الجبالِ، وبناءِ القصورِ في السهولِ.

وشعيبٌ عليه السلام وجدَ عند قومِ مدينَ جرائمَ اقتصادية، تتعلَّقُ ببخسِ المكيالِ والميزانِ والإفسادِ الاقتصاديِّ، ولذلك دعاهم شعيبٌ عليه السلام إلى الإقلاعِ عن هذه الجرائمِ الاقتصاديّةِ والاجتماعيّةِ.

وعندما ننظرُ في قصّةِ شعيبٍ مع مدينَ في القرآنِ، فإنَّنا نجدُ أنَّ الآيات سجّلت لهم الجرائم التالية: عدمُ وفاءِ الكيلِ والميزانِ، وبخسُ النَّاسِ أشياءَهم التي معهم، والإفسادُ في الأرضِ، والقعودُ على الطرقِ للتعرّضِ للذين يمّرون عليها، يتوعَّدونهم، ويهدِّدونَهم، ويسلبونَهم مَا معهم

من أشياء، ويصدُّون النَّاسَ عن سبيل الله، ويبغونَ الحياةَ معوجةً بعيدةً عن منهاجِ الله[1].

سامي: ما داموا قريبِينَ منهم لهذه الدَّرَجَةِ فكيف لَا يتَّعِظونَ ولا يخافُون غَضَبَ الله؟

الأب: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: الآية ٢٨]، ومِن ضُعفِه أنَّه سريعُ النِّسْيانِ.

جميل: ربَّما كانوا يخافون إنْ هُمْ قَبِلوا مَا يقولُ وأطاعُوه أن يُضَيّعَ عليهم مَا يأخذونَه مِنَ النّاسِ مِنَ المالِ بالحرام، ألم تقولي أنَّهم كانوا طمّاعينَ يُطَفّفون الكيلَ ويُخسِرون الميزانَ؟ مِنَ المُؤكَّدِ أنَّهم خافوا خِسارة أموالهم.

الأم: نعم؛ أولُ مَا وجِد فيهم الشركُ باللهِ، وعبادةُ غيره معه، فبدأَ بدعوتهم إلى عبادةِ الله وحده، والإيمان به وحده، وتركِ عبادةِ غيره معه، والتخلِّي عن عبادةِ الأصنام والأوثانِ. وهذه هي نقطةُ البدءِ التي كانَ يبدأ بها كلّ نبيٍّ مع قومه. مع أَنَّ شعيب عليه السلام واحداً منهم، وليس غريباً عنهم بعثه الله إليهم كلوطٍ عليه السلام[2].

ونهاهم شعيبٌ عليه السلام عن الإفسادِ في الأرضِ عندما قال لهم: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: الآية ٨٥]. والمفهوم من جرائمِهم المذكورةِ في الآياتِ، هو إفسادٌ اقتصادِيٌّ، يقومُ على التطفيفِ وإنقاصِ المكيالِ والميزانِ وإنقاصِ النَّاسِ أثمانَ أشيائهم، أي: عندما تشترونَ الأشياءَ والحاجيات من النَّاس لَا تبَخسوهم إيّاها ولا تنقصوها قيمتَها، ولا تشتروها بأقلّ من قيمتِها.

وطلبَ شعيبٌ عليه السلام منهم توفيةَ المكيالِ والميزانِ، وإعطاءَ النَّاسِ

---

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الثاني، ص١٣.
(٢) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الثاني، ص١٤.

حقّهم كاملاً، والوزن بالقسطاس المستقيم وهو الإصلاحُ في الأرض.

إنَّ الظلمَ الماليَّ والجرائمَ الاقتصاديةَ فسادٌ عريضٌ كبيرٌ في الأرضِ، والتاريخُ البشريُّ مصداقُ هذه الحقيقة.

ونهاهم شعيبٌ عليه السلام عن القعود في الطرق، والتعرّض للنَّاسِ فيها، وأَخْذِهم لما معهم: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف: الآية ٨٦].

لقدْ جمعَ قومَ مدينَ بينَ جريمةِ إنقاصِ المكيالِ والميزانِ، وجريمةِ قطعِ الطريقِ على المسافرينَ، والتعرُّضِ لهم، وإرهابَهم وتهديدَهم، والسطوِ على مَا معهم، ومحاربةِ المؤمنينَ بالله، والصدِّ عن سبيل الله، والرغبةِ في حرفِ الطريقِ إلى الله عن مسارها الصحيحِ المستقيمِ، لتكونَ معوجةً منحرفةً[1].

وتابعت الأمّ كلامها: وهو لَمْ يطالبْهم بشيءٍ شخصيٍّ له، لقد كانَ دَوْماً يقولُ لهم ـ كما فَعَل الأنبياءُ مِن قبْلِهِ ومن بَعدِه لِأقوامِهم ـ: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الشعراء: الآية ١٨٠]، ومع هَذَا لَمْ يؤمنوا. إنهم لَمْ يؤمنوا عناداً واستِكباراً، ولا يريدون الإيمان، فقط لأن الداعي ضَعيف وفقير: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأعراف: الآية ٨٨].

كانوا مُصَمِّمينَ على عَدَمِ الإيمان، ويعلَمون أنَّهم مهما فعلوا فلنْ يستطيعوا إسكاتَهُ فرأَوْا أنَّ خَيْرَ طريقٍ لإسكاتِهِ هو تَغْييرُ أسلوبِهم معهُ لِيَمَلَّ وَيَخرجَ مِن دِيارِهم.

لكنَّ شعيبٌ عليه السلام لن يملَّ وظلَّ يُذكّرهم بأنهم لَيْسوا فقراء ليَفعلوا

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الثاني، ص١٦ ـ ١٧.

هَذَا بَل تجارتُهم مُزدهرةٌ، والمالُ الذي يَجْنونَهُ مِن تجارتِهم يكفيهِم ويزيدُ على حاجَتِهم، أمّا تَخْسيرُهم للمكاييلِ والموازينِ فيَجْلِبُ عليهمُ المالَ الحرامَ: ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ [هود: الآيات ٨٥ ـ ٨٧].

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ ۖ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾﴾ [هود: الآيات ٩١ ـ ٩٢].

لقدْ أنكروا عليه دعوتَه إلى توحيدِ الله وعبادتهِ، والالتزام الأخلاقيّ الإيمانيّ في الاقتصادِ والتجارةِ والأموالِ، ولم يقبلوا منه ربط المال بالإيمانِ والأخلاقِ، فهذا شيء، وذاك شيء آخر!!

﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ أهذه هي نتائجُ صلاتك التي تصلِّيها لله، أنْ ترفضَ الدِّينَ الذي نحنُ عليه، والذي ورثناه عن آبائنا؟ لقد وجدْنا آباءنا يعبدون هذه الآلهة، فعبدنَاها، ولا يمكنُ أن يكونَ آباؤنا على ضلالٍ، فكيفَ تريدُ منَّا أن نعبدَ الله وحدَه، ونتخلَّى عمَّا ورثناه عن آبائنا. أهذا مَا تأمرُكَ به صلاتك؟

أتأمُرك صلاتُكَ أن تلومَنا على تصرُّفنا في أموالنا كما نشاءُ؟ لماذا لَا تدعْنَا نتصرَّفُ في أموالنا كما نشاء! وما دخلُ صلاتِكَ ودينِكَ ودعوتِكَ في أموالِنا؟ لماذا تتدخَّلْ يا شعيبٌ في اقتصادِنا وتجارتِنا؟ ولماذا تقحمْ دينَك في حياتنا؟

نحنُ أحرارٌ في حياتنا نعيشُها كما نشاء!

ونحنُ أحرارٌ في أموالنا ننمِّيها ونربحُ فيها ونزيدُها كما نشاء!

ونحنُ أحرارٌ في تجارتِنا ومكاييلِنا وموازينِنا، نتصرَّفُ فيها كما نشاءُ! فكفَّ عنّا، ولا تتدخل في تجارتِنا واقتصادِنا وأموالِنا.

وبالغوا في السُّخرية منه قائلين له: ﴿لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾!! أي: مَا تُقحمُ نفسَك فيه في حياتنا يتنافى مع مَا تُظهره من حلمك ورشدِك، إنك تزعمُ أنك حليمٌ رشيدٌ، فإن كنت كذلك فدعْ مَا تقوله لنَا، وإن لمْ تتوقف عن ذلك فلنْ تكون حليماً ولا رشيداً[1].

لكنَّ هَذَا الأسلوب لَمْ يؤثر في قومه، فردُّوا عليه رداً آخر، وقالوا له: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾﴾ [هود: الآيتان ٩١ ـ ٩٢].

سبحانَ اللهِ بالرغم من أنَّ هَذَا النبيَّ الكريمَ كانَ فصيحاً في لُغَتِهِ يمتلكُ عبارةً عاليةً وبلاغةً في الدعوة إلى الإيمانِ، إلّا أنّ قومَهُ كانوا معاندين جدّاً. لَمْ ينجحِ الملأ الكافرون في جهودهم مع الأتباعِ، فاستعملوا السلاح الأخير ضد شعيب ودعوته حيثُ طلبوا منه عذابَ الله إن كانَ صادقاً. قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الشعراء: الآيات ١٨٥ ـ ١٨٨].

واتَّهموه بالسِّحرِ: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ والمسَحَّرون هم المسحورون. تقول: هو مسحورٌ، أي: وقع عليه السحر، فصارَ يتصرَّفُ بدون عقلٍ ولا وعيٍ.

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الثاني، ص١٩.

اعتبروا شعيباً مُسَحّراً مسحوراً، بدونِ عقلٍ، وكلامه لَا يعقلْ أنْ يصدرَ عن عاقلٍ في زعمِهم!

واعتبروا بشريَّته مطعناً في نبوته: ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ فلا يقبلْ عندهم أن يجعلَ الله نبيّاً بشراً، فإن بعثَ الله نبيّاً، فلا بدَّ أن يكونَ ملكاً من الملائكة.

وبنوا على ذلك نتيجةً أخرى، وهي أنَّه كاذبٌ: ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

فهو عندَهم كاذبٌ في دعوى النبوةِ والرسالةِ، وفي ادعاءِ أنَّه على هدى، وفي دعوته لهم للدخولِ في دينِهِ، كاذبٌ في كلِّ مَا يقولَ لهم!

وبما أنَّه كاذبٌ في تهديده لهمْ بوقوعِ العذابِ بهم، فلنْ يقعَ بهم ذلك العذاب، ولذلكَ طلبوا منه أن يوقعَ بهم العذابُ في صورةٍ عجيبةٍ: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾﴾.

والكسفُ هي: القطعُ، ومفردها كِسْفَة وهي القطعةُ.

إنْ كنتَ يا شعيبٌ نبيّاً كما تقولُ، فقطّع السَّماءَ إلى قطعٍ متفرقةٍ ثمّ أسقطْها علينا كسفاً متتابعةً، وقطعاً متكاثفةً، ليكونَ فيها هلاكنا ودمارُنا وموتنا.

وقد ردَّ شعيبٌ عليه السلام على هذه السخريةِ بأنْ أخبرهم أنَّ هَذَا بيد الله، وهو يعلمُ كلّ مَا يصدر عنهم من جرائمٍ: ﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾﴾.

سامي: وكيفَ عاقبهم الله؟

الأم: بعدما هدّد الملأُ من قوم مدينَ بإخراجِ شعيبٍ وأتباعه منْ قريتهم، وبعدما كذّبوه، وطلبوا منه أن يَأتيهمْ بعذابِ الله، وأن يسقطَ عليهم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من السَّماء كسفاً، وصلتْ قصّةُ شعيبٍ عليه السلام مع قومه إلى نهايتها، فَقَدْ أقامَ عليهم الحجة، وبلَّغهم الدعوة، وأصرّوا على كفرِهم وعنادِهم، وانتهى كلّ شيء.

عند ذلكَ أتاهمْ أمرُ الله، وحقّتْ عليهمْ سنةُ الله، فأوقعَ الله بهم العذابَ والدمارَ. وأنجَى شعيباً عليه السلام وأتباعَه المؤمنين(١).

قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الأعراف: الآيتان ٩١ ـ ٩٢].

تشيرُ هذه الآيات إلى أنّ الله عذَّبهم بالرَّجفةِ.

سامي: الرَّجفةُ وماذا حدثَ لهم؟

الأم: لقد حرّك الله الأرضَ من تحتهِم حركةً قويةً، فاضطربتِ اضطراباً شديداً، ووقعتِ الصيحةُ والزلزال، فقضتْ عليهم وأبادتهم، وأصبحوا في ديارهم جاثمين، جثثاً هامدةً، بدون حركةٍ أو حياةٍ.

إنَّ الأصلَ في الأرض أنْ تكونَ ساكنةً هادئةً مستقرةً، والأصلَ في النَّاسِ أن يكونوا متحرِّكين نشطين، أقوياء أحياء.

ولكنَّ الله لمّا عذَّب قوم مدين، حرَّك الأرضَ الساكنةَ، فقضتْ على حركةِ القومِ فوقها وأسكنتهم، أي: تحرَّكَ السَّاكنُ المستقرُّ فأسكنَ المتحركَ وجعلَه جاثماً هامداً(٢).

وعقَّبتِ الآياتُ على هلاكهم بقولها: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ﴾ [الأعراف: الآية ٩٢].

---

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الثاني، ص٣٢.

(٢) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الثاني، ص٣٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أحمد: لقد كانَ قومُ مدين في بلادهم أغنياءَ سعداءَ، أعطاهُم الله فيها مَا أعطاهُم منَ النِّعم والخيرات، فاستغنوا في بلادهم، وأقاموا فيها إقامةً مستقرةً، وعاشوا فيها حياةً هانئةً.

وكانَ عليهم أن يشكروا الله على نعمِه، لتبقَى تلكَ النِّعمُ عليهم، وليستمرّوا في إقامتهم أغنياءَ مستغنين(١).

جميل: ولكنَّهم قابلوا تلكَ النِّعم بالجحودِ والكفرانِ، فزالتْ عنهم، وعذّبهم الله، وقضى عليهم، فكأنهم لَمْ يغنوا في بلادهم، ولم يقيموا فيها، ولم يعيشوا عليها، ولم يستغنوا بها، وغادروها إلى لعنةِ الله وعذابه(٢).

الأب: أحسنتُم، لقد كانَ الملأُ المستكبرون من مدينَ يقولونَ للذين آمنوا بشعيبٍ: ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٩٠].

والآنَ أنجى الله المؤمنينَ الذين اتبعوا شعيباً، فكانوا فائزينَ مفلحينَ ناجحينَ، ولم يكونوا خاسرينَ. أما الذين كذّبوا شعيباً وعادوه وحاربوه فها هم هلكى، في ديارِهم جاثمينَ هامدينَ أموات(٣).

تابع الأب فقال: همُ الخاسرون، همُ الذين كذَّبوه، فَقَدْ ذكرَ الله ﷻ في سورةِ هودٍ أنَّ الله أهلَكهم بالصيحةِ، وفي سورةِ الشعراءِ، أهلَكهم بالظلَّةِ، فيكون لدينا ثلاثةَ أنواعٍ من العذابِ:

١ ـ قال تعالى في سورةِ الأعراف: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾﴾.

٢ ـ وفي سورةِ هود: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾.

---

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الثاني، ص٣٣.
(٢) المرجع السابق، ص٣٣.
(٣) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الثاني، ص٣٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣ ـ وفي سورةِ الشعراء: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾﴾.

تحدَّثنا عن الرجفة. أما الصيحةُ التي أخذَهم الله بها: هي صوتُ الزلزلةِ العالي الناتج عن رجفِ الأرضِ وانشقاقِها، حيثُ رجفتِ الأرضُ بهم، وحصلَ الزلزالُ المدمِّرُ، وبعد ذلكَ الزلزال والانشقاق جاءتِ الصيحةُ الشديدةُ، التي كانتْ سبباً في هلاكهم(١).

وقد ذكَّرتنا الآيات بإهلاكِ ثمود فقالت: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود: الآية ٩٥].

لقد دمَّر الله ثمودَ من قبل، فأبعدَهم من المكان والأرض، وأبعدَهم من الوجودِ والحضور، وأبعدَهم من التاريخَ والذّكرِ، والآن دَمَّر مدينَ، فأبعدَها من كلِّ ذَلِكَ، كَما أبعدَ من قبلها، ذكر ثمود هنا لاشتراك مدين مع ثمود في نوع العذابِ الواقع بهم: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾ [هود: الآيتان ٩٤ ـ ٩٥].

أما سورة الشعراء فَقَدْ أخبرتْ أنَّ الله دمَّر قوم مدين بالظلَّةِ، وسمَّاهم أصحابُ الأيكة، قال تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَـٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [الشعراء: الآيتان ١٧٦ ـ ١٧٧].

ثمّ قال عن تعذيبهم: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾﴾ [الشعراء: الآية ١٨٩].

والظلّة: هي السحابةُ التي تظلِّلُ النَّاسَ، عندما تكون فوقَهم في السماء، فتجعلُ لهم ظلًّا وفيئاً.

وهذه الظلةُ التي فوق مدين ظلةُ عذابٍ، وهي ناتجةٌ عنِ الرجفةِ

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الثاني، ص٣٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والصيحة. حيثُ أعقبَ الصيحةُ والزلزلةُ خروجُ دخانٍ بركانيٍّ كثيفٍ، ارتفعَ في الجوِّ، وظلَّلهم، وصارَ سحابةً بركانيةً قاتلةً، أبادتهم وقضتْ عليهم(١).

الأم: إذاً تدلُّ الآياتُ أنَّ قومَ مدين هم أصحابُ الأيكة، وهمُ الذين أهلكهم الله بالرجفة التي نتجَ عنها الصيحة، وهي التي نتج عنها الظلة.

الأب: صحيحٌ، من يعيدُ لنا ترتيبَ العذابِ الذي وقعَ على قومِ مدين أصحاب الأيكة.

أحمد: نعم؛ المرحلةُ الأولى: الرجفةُ حيثُ رجفت الأرضُ من تحتهم، وتحرَّكتْ بهم حركةً شديدةً، وزلزلتْ بهم زلزلةً قويةً(٢).

جميل: والمرحلةُ الثانيةُ: الصيحةُ حيثُ نتجَ عن رجفةِ الأرضِ وزلزلتِها وتشقّقها صيحةٌ عاليةٌ، وصوتٌ مرتفعٌ مدوٍّ، وانفجارٌ كبيرٌ، أفزعَهم وأخافَهم وأرعبَهم(٣).

الأم: وأنا سأقول عن سامي المرحلةُ الثالثةُ: الظلَّةُ: وهي السحابةُ البركانيةُ الحارقةُ، المكوّنةُ من الدخانِ الزلزاليِّ، الذي تصاعدَ من زلزالِ الأرضِ وتشققِها، والذي أعقبَ الصيحةَ المدويةَ والانفجارَ الكبيرَ(٤).

سامي: وماذا حدثَ لسيِّدنا شعيبٍ عليه السلام؟

الأم: أنجى الله عز وجل شعيباً ومن آمن به، وقفَ شعيبٌ عليه السلام على أطلالِ قومه الهالكينَ، وكلَّمهم وهم موتى هامدون، ساخراً بهم معقّباً على دمارهم، قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأعراف: الآية ٧٩].

قالَ يخاطبُ الجثثَ الهامدةَ: يا قومِ، لقد أبلغتكُم رسالةَ ربِّي،

---

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الثاني، ص٣٥ ـ ٣٦.
(٢) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الثاني، ص٣٩.
(٣) المصدر السابق، ص٣٩.
(٤) المصدر السابق، ص٣٩.

وأقمتُ عليكم الحجَّة، ودعوتُكم إلى الله، وبذلتُ أقصى جهدي في نصحِكم والحرصِ عليكم، ودَلَلْتكم على طريق النجاةِ، وحذّرتكم من هَذَا العذابِ الذي وقع بكم، وهذا المصير الذي صرتُم إليه.

لكنَّكم قابلتمُ دعوتي بالإنكارِ، وتحذيري بالسخرية، وكذَّبتم مَا أخبرتُكم عنه، وأصررْتُم على العنادِ والتكذيبِ، والإعراضِ والكفرِ. وبذلك جنيتمْ على أنفسِكم، واستقدمتُم العذاب فكيف آسى عليكم؟ وكيف أحزنُ عليكم؟

أنتمْ تستحقُّون مَا وقعَ بكم، وأنتمُ السببُ في مَا انتهيتم إليه، فبئسَ المصيرُ مصيرَكم، وبئسَ النهايةُ نهايتكم!!

جميل: يخاطبهم وهم أموات!

الأب: نعم؛ لَا غرابةَ أنْ يخاطبَ شعيبٌ عليه السلام قومَه الموتى بَعْدَ موتِهم بقوله لهم: ﴿يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأعراف: الآية ٩٣] لأنَّه يعلمُ أنَّهم الآن ـ بَعْدَ موتهم ـ يسمعون كلامه، ولكنَّهم لَا يقدرون الردَّ عليه، لانتقالهم إلى مرحلةِ البرزخِ والقبرِ، حيثُ يسمعُ الأمواتُ كلامَ الأحياءِ لكنَّهم لَا يردّون عليهم.

وهذا مَا فعله رسولُ الله محمّد ﷺ مع قتلى قريشٍ في معركةِ بدرٍ، بعدما دفنهم في القليبِ.

روى مسلمٌ عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: إنَّ رسولَ الله ﷺ تركَ قتلى بدرٍ ثلاثاً، ثمّ أتاهُم، فقامَ عليهم، فناداهُم فقالَ: «**يا أبا جهل بن هشام، يا أميةَ بن خلفٍ، يا عتيبة بن ربيعة، يا شيبةَ بن ربيعة: أليسَ قدَ وجدَتُّم مَا وعدَ ربُّكم حقّاً؟ فإني قد وجدتُ مَا وعدَني ربِّي حقّاً**».

فسمعَ عمرُ قولَ النبيِّ ﷺ، فقالَ: يا رسولَ الله، كيفَ يسمعون وأنَّى يجيبون وَقَدْ جيفوا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال: «**والذِي نفسِي بيدِه، مَا أنتمُ بأسمع لما أقولُ منهُم، ولكنَّهم لاَ يقدرون أن يجيبوا. . .**»[(١)].

فما فعله شعيبٌ عليه السلام مع قومِه الكفار بَعْدَ موتهم، هو مَا فعلَه محمّد ﷺ مع قومهِ الكفار بَعْدَ موتهم. والله أعلم[(٢)].

إلى هنا وانتهتْ قصّةُ شعيبٍ عليه السلام وتعبت الأسرةُ منَ الجلوسِ خارجَ الشاليه، وأحسُّوا جميعَهم بالنَّعاسِ، فنهضوا إلى أسرَّتهم وهم يستغفرون الله ويحمدونه على تخليصه للمؤمنينَ ونصرهِ لهم دوماً.

أصيبَ الأولادُ بالأرقِ، وهم يسترجعونَ في أذهانهم قصَّةَ سيِّدنا شعيبٍ عليه السلام، وكم عانى في دعوةِ شعبهِ العنيدِ الذي تمكَّنَ منه الشيطانُ فاستباحَ المحرَّماتِ وطغى وتجبَّر، وأَكَلَ مالَ النَّاسِ بالباطلِ، ونسيَ أنّ الله لَا يجيزُ إيذاءَ النَّاسِ بجميعِ أشكاله، فالله لَا يرضى لنا أن نؤذي النَّاسَ ونأكلَ أموالهم بالباطلِ. . . وَقَدْ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٥٨]، أي: أنَّ الله سيقتصُّ من الشريرينَ في الدنيا والآخرةِ.

ظلُّوا مستيقظينَ حتَّى وصلَ إلى أسماعِهم صوتُ المؤذنِ ينادي لصلاةِ الفجرِ، قاموا من أسرَّتهم وأسرَعوا إلى البحرِ يتوضّأون ويصلُّون على رمالِ شاطئهِ التي تتقبَّل أولى نسماتِ الصّباحِ الطريّةِ الناعمةِ.

بعدَ قليلٍ خرجَ الأبوانِ وبادرا أبناءَهما بالتَّحيةِ.

الأب: لماذا خرجتُم باكراً؟

الأولاد: في الحقيقة نحنُ لَمْ ننمْ على الإطلاقِ.

الأم: لماذا؟ هل المكانُ غيرُ مناسبٍ؟

الأولاد: لا، ولكنَّنا شغلنا بقصّةِ سيِّدنا شعيب عليه السلام الذي بذلَ كلَّ مَا في وسعه لإنقاذِ شعبهِ من المصيرِ السيئِ، إلَّا أنَّهم لَمْ يتجاوبوا معه.

---

(١) أخرجه مسلم، برقم ٢٨٧٤.

(٢) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الثاني، ص٤٠ ـ ٤١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جميل: لَقد كانَ يدعوهم للإصلاحِ والإيمانِ والحياةِ السعيدةِ فلماذا رفضوا وأصرّوا على موقِفِهم؟

الأم: يا بُنَيّ، ليس جميعُ النَّاس على استعداد لقبول أوامِرِ اللَّهِ ونواهيهِ والامتِثالِ لها، لأنَّهم لَا يُصَدِّقون إلّا مَا يَرَوْنَ، وهم يَرَوْن أَمْوالَهم تتنامى وتربو إذا طَفَّفوا وأنقصوا الميزانَ، لهذا لَمْ يُطيعوا الأنبياءَ.

سامي: لقد ذكرْتِ لنا في القِصَصِ السّابقة مَا هو معنى الإسلام والإيمان والدين، وأمْسِ قلتِ إنَّ اللَّهَ تعالى لمّا خلّصَ المؤمنين مِنْ قَوْمِ شُعَيْبٍ مِنَ العذابِ عادوا إلى مَديَنَ وأقاموا فيها الدِّينَ. فما العَلاقةُ بين الإسلامِ والإيمانِ والدِّينِ؟

الأم: الدِّينُ هو عبارةٌ عن الإسلامِ والإيمانِ والإحسانِ، كما أخبر الصحابِيُّ عمر بن الخطّاب ﷺ في حديثٍ طويلٍ عندما كانوا جالسين عِندَ رسول الله ﷺ ودخَلَ عليهِمْ رجلٌ شديدُ بياضِ الثِّيابِ، شديدُ سوادِ الشَّعرِ، لَا يُرى عليه أَثَرُ السَّفَرِ... فَسَأَلَ رسولَ الله ﷺ: فأخبِرْني عَنِ الإحسانِ قال: «**أن تَعْبُدَ اللَّهَ كأنَّك تراهُ، فإنْ لَمْ تكُنْ تراهُ فإنَّهُ يراك**... ثم انْطَلَقَ فَلَبِثَ مَلِيّاً، ثمّ قال لي: **يا عُمَرُ، أتدري مَنِ السّائِلَ؟**» قلتُ: اللَّهُ ورسولُه أعْلَم. قال: «**فإنَّه جبريلُ أتاكُمْ يُعَلِّمُكُم دِينَكُم**»[1].

أحمدُ: ما الفَرْقُ بَيْنَ الإيمانِ والإسلامِ؟

الأم: هذا حديثٌ يطولُ شَرْحُه، ولكِنْ يَجِبُ أنْ تعلَمَ أنّ الإسلامَ يتعلق بالسلوك والتصرفات، أما الإيمان فيتعلَّقُ بما يعتقدُ القلبُ حقاً، فيكفي أَنْ تُقيم أركانَ الإسلام حتَّى تكونَ مُسلِماً، ولكنَّ الإيمانَ أعمقُ وأشملُ، وليس سَهْلاً على الإنسانِ أن يَتَمَثَّلَ شَيْئاً كأنَّهُ يَراهُ. وَقَدْ قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾ [الحجرات: الآية ١٤].

---

(١) أخرجه مسلم، (٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سامي: لم أَفْهَمْ بعدُ ذلك الفَرقَ.

الأمّ: يا بُنَيَّ إنّ اللَّهَ أَنْزَلَ هذه الآيةَ على الأعرابِ الذين أوَّلَ مَا دَخَلوا في الإسلامِ ٱدَّعَوْا لأنفُسِهِم مَقامَ الإيمانِ مع أن الإيمانَ لَمْ يتمكن في قلوبِهم بعدُ، . . . فدلّ هَذَا على أنّ هؤلاءِ الأعراب المذكورينَ في هذه الآيةِ لَيْسُوا بمنافقين، وإنما هم مسلمونَ لَمْ يستحكِمِ الإيمانُ في قلوبِهِمْ. وَقَدْ قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجَدَ بهنّ حلاوةَ الإيمانِ: من كانَ اللَّهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهُما وأنْ يُحبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إلاَّ لِلَّهِ، وأنْ يَكْرَهَ أنْ يعُودَ فِي الكُفْرِ بعدَ أن أَنقذه الله منه، كَمَا يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»[1].

وقال الله تعالى في سورةِ التَّوْبَةِ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾، فإذا حَصَلَ هَذَا الحبُّ في قلبِ المُسلِمِ يبلُغُ درجةَ الإيمانِ؛ وإذا حَصَل هَذَا الحُبّ فسوفَ يعتقِدُ الإنسانُ ٱعتقاداً جازماً أنَّ مَا أصابَهُ مِنْ خيرٍ أو شرٍّ فإنَّما هو بِقَدَرِ اللَّهِ تعالى، ولا رادّ لِقضاءِ الله، وهذا مَا علَّمَهُ رسولُ الله ﷺ لٱبنِ عمِّهِ الغلام عبدِاللَّهِ بنِ عباسٍ عندما كانَ رديفَهُ[2] ذاتَ يومٍ فقال له: «**يا غلامُ إني أُعلِّمُكَ كلماتٍ: اِحفَظِ اللَّهَ يحفَظْك، اِحفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَك، إذا سأَلْتَ فٱسأَلِ اللَّهَ وإذا ٱسْتَعَنْتَ فاستعِنْ باللَّهِ، وٱعلَمْ أنَّ الأُمَّةَ لو ٱجْتَمَعَتْ على أنْ يَنْفَعُوك بشيءٍ لَمْ ينفعوكَ إلاَّ بشيءٍ قد كتبهُ الله لك، وإن اجْتَمعوا على أن يَضُرّوكَ بشيءٍ، لَمْ يَضُرّوك إلاّ بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**»[3].

وعندما يَضَعُ المرءُ منهج الله وأوامِرَه في أَوْلَوِيّاتِهِ وَيُنَفِّذُها مهما

---

(١) البخاري، الصحيح، ٢ ـ **كتاب الإيمان**، ٩ ـ باب حلاوة الإيمان، برقم ١٦.

(٢) رديفه: راكباً خلفه.

(٣) رواه الترمذي، برقم ٢٥١٦، وقال: حديث حسن صحيح.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ٱعتَرَضَهُ مِنْ مشكلات، يكونُ قد بَلَغَ دَرَجَةَ الإيمانِ.

وبسبَبِ هَذَا الفارِقِ البسيطِ والمُؤَثِّرِ بينَ الإيمانِ والإسلامِ قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾ فـ (لمّا) هي أداة جَزْم للنَّفْي، تسمى «لما» حرف إطماع وتدل على أن مَا بعدها قريب الوقوع، أَي: إن الإيمانَ قد يدخُلُ في هذه القُلوبِ في أيَّةِ لحظةٍ، فهي مُسْتَعِدَّةٌ لهُ وليست مُنافِقَةً. وعندما يتِمّ هَذَا الإيمانُ، عندها فقط، يُصبحُ بإمكانِ الإنسانِ أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ كأنه يَراه.

قال الأبُ: رُبّما أستطيعُ إيصالَ المَفهومِ إلى أذهانِكُم بطريقةٍ أخرى. فَقَدْ وَفّقَني اللَّهُ لحضورِ محاضرةٍ قَيِّمَةٍ بعنوانَ: (كيف تولد من جديد)[1]، وأدعو الله أنْ يُوَفّقَني لِنَقْلِ المعلومات إليكُم بشكلٍ بسيط.

كانتِ المحاضرة تهتمُّ بكيفية تغيير منهج التفكير والتعامل مَعَ الحياةِ وما يَطرأُ عليها مِن تَغيُّر دائِم، هَذَا التّغيُّرُ يَتِمُّ بِسَبَبِ تَدَفُّقِ الخَواطِرِ والأَفكارِ على الدِّماغِ، فإذا كانَ الإنسانُ ذا عقلٍ نَيِّرٍ وحيويَّةٍ مُسْتَمِرَّةٍ يستطيعُ التكيُّفَ مَعَ كُلِّ المُعطَياتِ وبشكلٍ صحيحٍ وخلّاق. فنفْسُ الإنسانِ عبارةٌ عن جَسَدٍ وروح، والجَسَدُ عبارةٌ عَنْ ترابٍ وماء، ولِأَجْلِ طهارَةِ التُّرابِ والماءِ والروحِ تَجِبُ تَزْكِيَةُ النّفْسِ عن طريقِ التَّعَلُّم، فإن الخاطِرَة ـ أي الصُّوْرَة ـ تدخُلُ إلى الدِّماغِ عبْرَ الحواسّ الخمسِ، ومِنَ الحواسّ تدخُلُ إلى دائِرَةِ النَّفْسِ التي تحمِلُها إلى الفُؤادِ، أي: إلى مركَزِ الفِطْرَةِ فهو الذي يتلقّى ويَستفهِمُ ويُعيدُ الصُّورةَ إلى المرجعيةِ، ألا وهي كتابُ اللَّهِ وسُنّةُ رسولِهِ ـ خطُّ الحياةِ ـ الذي يجب أن ينتهجَهُ الإنسانُ كما أَمَرَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**إنّي قد تركتُ فيكم شيئين لن تضلّوا بعدهما كتاب الله وسنّتي**»[2]. فإذا ٱنتهَجَ أحَدُنا هَذَا النهجَ تُصبح أولوياتُه في الحياةِ: الله ـ الأنا ـ الآخر.

---

(١) د.عبدالرحمٰن ذاكر حامد، طبيب استشاري في علم النفس العلاجي.

(٢) الحاكم في المستدرك، عن أبي هريرة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وحتى تخرُجَ الخاطِرَةُ مِن دائرةِ النَّفْسِ، يَجِبُ أن يتمتعَ الإنسانُ بميزتَيّ الإنصاتِ ودِقَّةِ الملاحظةِ، فعدمُ الإنصاتِ وقِلّةُ التركيزِ يجعلان من المستحيلِ على الفؤادِ أن يَستوعِبَ ويفهَمَ. والجديرُ بالذّكرِ أن كثيراً مِنَ الناسِ اليومَ لَا يسمحون لفؤادِهم أن يُصغيَ ويفهَمَ، ولكنّهم يسمحون للخواطِرِ أنْ تدخُلَ فقط إلى الحواسّ ومنها تُترجَمُ إلى سلوك.

فالأعرابُ الذين نَزَلت فيهِمُ الآيةُ الكريمةُ أدخلوا دينَ اللَّهِ إلى حواسّهم ثمّ قالوا آمنا. لقد ٱدّعَوا الإيمانَ قبل أنْ تصِلَ الأفكارُ الدينيةُ إلى قلوبِهم لهذا قال الله تعالى فيهم: ﴿قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾، أَيْ: إننا صدَّقنا بما سمِعنا وٱتَّبَعْنا دينَ محمدٍ، ولكنّ هَذَا الدينَ لَمْ يصِلْ بعدُ إلى قلوبِنا حتَّى يُمْكِنَنا التّصديقُ بأنّ كلّ مَا يجري لنا مِن خَيْرٍ أو شرٍّ هو بأمرِ الله، فإذا ٱطمأنّ القَلبُ وتَيَقّنَ بالدّينِ الجديدِ فهو الإيمانُ، وبه يكون السلوكُ الصحيحُ في كلّ أمورِ الحياةِ، الذي من خلاله يصل الإنسان إلى درجة الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه، ويكون في كلّ حالاته ذاكراً ومراقباً لله.

جميل: أجل، لقد فهِمتُ هَذَا الكلامَ، وأرجو أن أكونَ مِنَ الذين يدخُلُ الإيمانُ في قلوبِهِم بشكلٍ متينٍ، إذ عندما يؤمِنُ الإنسانُ تصفو روحُهُ ويطمئِنُّ قلبُهُ ويشعُرُ بسعادَةٍ بالِغَةٍ.

في هَذَا الوقتِ ٱشتدَّتْ حرارةُ الشّمسِ، فآثروا العَوْدة إلى غُرفتهم.

وبعد أن تناولوا إفطارَهم، لَمْ يَجِدوا مَا يعملونه، إلّا أنْ يلجأوا إلى أسرَّتهم، فَقَدْ شعروا بالنُّعاس، بالرَّغم من تزاحُم الأسئلةِ والخواطرِ في قلوبِهم، إلّا أنَّهُم لَمْ يقاوِموا النُّعاسَ، فَالنَّومُ سلطانٌ كما يقولون.

بعد أن مالتِ الشّمس للمغيبِ، عادَتِ الأسرة لِلاجتماعِ على الشّاطئ الجميلِ. ارتدى الأولادُ الثيابَ الخاصَّة بالبَحرِ، التي أحضروها مَعَهم، وانتَقوْها بشكلٍ تكون ساتِرَةً للعَورَةِ، فهم يعلمونَ جيِّداً أنّ عورَةَ الرَّجُلِ تمتدُّ مِنَ السُّرَّةِ إلى الرُّكبةِ؛ ويعلمونَ أنَّ الحياةَ لَا تُغْني مِنَ الموت شيئاً، ولا يُحِبُّون أن يراهُمُ اللَّهُ وهم يرتكِبون معصِيَةً. صحيحٌ أنّ كلَّ الناسِ

خطّاؤون، ولكن عليهمُ المحاولة بكل جَهدٍ للابتعادِ عنِ ٱرتكابِ الأخطاء مَا ٱستطاعوا.

بعد أن أخذوا نصيبَهُم مِنَ السِّباحَةِ والعَوْمِ، وشعروا بالنَّشاطِ يعُمُّ أجسادَهُم عادوا إلى حيثُ تجلِس أمهم معَ أُختِها.

جلسوا معهما يرتشِفون أكوابَ العصيرِ الطازَجِ الذي طلبتاهُ مِنَ المِقصَفِ المسؤولِ عن تأمينِ الطّعامِ للمِنطقة التي يسكنونَ فيها، وراحوا يتجاذبون أطراف الحديث.

فقالتِ الأم: في الواقع، هناكَ شيءٌ أُحِبّ أنْ أَلفِتَ أنظارَكم إليه، حتَّى لَا تعتقدوا أني أخبركم المعلومات بشكلٍ غَيرِ دقيق. لقد سألني أحمدُ أمسِ مَا إذا كانَ اللَّهُ سبحانَهُ وتعالى أرسَل إلى الأقوامِ التي أهلكها أكثرَ مِن نَبِيّ، فأجَبْتُه بالنَّفي.

الأولاد: أجلْ؛ هَذَا صحيح.

الأم: في الواقِع، إنَّ الله سبحانه وتعالى كانَ يُرسِل الأنبياءَ بشكلٍ مُنفردٍ إلى تلكَ الأقوامِ، ومِنهم قومَ شُعَيْب، إلّا أنّه ﷻ وبعد ظُهورِ سيِّدِنا موسى عليه السلام، صار يُرسِلُ ـ إلى بني إسرائيلَ ـ الأنبياءَ رسولاً بَعْدَ رسول ومُتَوالٍ، هؤلاء الأنبياءُ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ في أكثَرِ الأحيانِ رسالاتٌ خاصّةٌ بِهِم، ولكنّهم بُعِثوا ليقوِّموا إيمانَ أقوامِهِم، ويُصحّحوا مَا قد يَحدُثُ من خطأٍ وٱنحرافٍ. . . .

جميل: هذا يعني أَنَّهم كانوا يقومونَ بعملِ علماءِ الدينِ!

الأم: هذا صحيحٌ، وهذا مَا لفتَ انتباهنا إليه سيِّدُنا محمد ﷺ في حديثٍ طويلٍ بقوله: «**إنّ أولَ مَا دخلَ النّقْصُ على بني إسْرائيلَ، أنّه كانَ الرجل يلقى الرجلَ فيقولُ: يا هَذَا ٱتق الله وَدَعْ مَا تصنَعُ فإنّه لاَ يَحِلُّ لك، ثمّ يلقاهُ مِنَ الغَدِ وهو على حالِهِ فلا يمنَعُهُ ذلك أَنْ يكونَ أكيلَهُ وشريْبَهُ وقَعيدَهُ، فلمّا فعلوا ذلك ضَرَبَ اللَّهُ قلوبَ بعضِهم ببعضٍ**».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم قال: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة: الآيات ٧٨ ـ ٨١].

ثم قال: «**كلا واللَّهِ لتأمُرنَّ بالمعروفِ، ولتنهوُنَّ عنِ المُنكَرِ، ولتأخُذَنَّ على يدِ الظّالِمِ، ولتأْطُرَنَّهُ على الحقِّ أطْراً، ولَتَقْصُرَنَّهُ على الحقِّ قصراً، أو لَيَضْرِبَنَّ اللَّهُ بقلوبِ بعضِكم على بعضٍ، ثمّ ليلْعَنُكم كما لَعَنَهُمْ**»(١).

أكملَتِ الأم: ومِنْ هؤلاءِ الأنبياءِ مَنْ ذَكَرَهُ اللَّهُ تعالى في القرآنِ الكريم مِثلَ داودَ وابْنِه سليمانَ، ثُمَّ عيسى ويحيى وزكريا عليهم السلام، ومِنهم مَنْ لَمْ يَذكُرْ أسماءَهم مثلَ أصحاب القرية الذين وردت قصتهم في سورةِ يس وجاء فيها: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾ [يٰس: الآيات ١٣ ـ ١٧]. لقد ذكرت قِصَّتُهم دونَ ذِكْرِ أسمائِهم، مع أنَّ بعضَ الإخباريين أعطَوْهم أسماء، إلّا أنّ هناك خلافاً حولَهم لَنْ نتحدثَ عنه. وكذلك أصحابُ الرّسِّ الذينَ لَمْ يَرِدْ في كتاب الله إلَّا اسم مكان إقامتهم وَذَلِكَ في سُورَتين: ﴿وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَأَصۡحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونَۢا بَيۡنَ ذَٰلِكَ كَثِيرٗا ﴿٣٨﴾ وَكُلّٗا ضَرَبۡنَا لَهُ ٱلۡأَمۡثَالَۖ وَكُلّٗا تَبَّرۡنَا تَتۡبِيرٗا ﴿٣٩﴾﴾ [الفرقان: الآيتان ٣٨ ـ ٣٩]، و﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ﴿١٣﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [ق: الآيات ١٢ ـ ١٤].

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أحمد: هذا تصديقٌ لِقَولِهِ تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [غافر: الآية ٧٨].

الأم: هذا صحيحٌ. أحسَنْتَ يا أحمدُ. ثمّ أكملَتْ: لقد أهلَكَ اللَّهُ سبحانَه وتعالى قومَ يْس وأصحاب الرَّسِّ بعامَّةٍ، وأَذاقَ المُكَذِّبينَ الباقِينَ ألوانَ العذابِ، وسنذكُرُ ذلِك في حينِهِ عندما نروي قَصَصَ هؤلاء الأنبياءِ.

سامي: أتعلَمين يا أمي، لَمْ نَنَمْ أمسِ جيِّداً، بسبَبِ بعضِ الأسئلةِ التي شَغَلَتْنا حولَ قِصَّةِ سيِّدِنا شُعَيبٍ. فما دام قومُهُ يعرِفونَ صِدقَهُ وصلاحَهُ، فلماذا لَمْ يُطيعُوه، وظلّوا على عِنادِهم وتصرُّفاتِهمُ السَّيِّئَةِ؟

الأم: ذلك لأنَّ الشيطانَ اللّعينَ كانَ يُوَسْوِس لهم أنَّ شُعَيْباً يَمْنَعُهُم مِن تَصَرُّفاتِهم حتَّى يتفرّغَ لها هو، لقد شكَّكَهُمْ في صِدقِ هَذَا الرَّجل العظيم. . . .

قال أحمد: لقد قَرَأتُ في سورةِ هودٍ كلامَ سيِّدِنا شعيبٍ لقومِهِ: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾.

الأم: أرأيتُم! أَرادَ شُعَيْب أن يُطَمْئِنَ قومُهُ إلى أَنَّهُ لَا يخدَعُهُم ولا يَغُشُّهُم، وأَنَّهُ يهديهِمْ إلى مَا فيه صلاحُهُم، وذلِكَ بَعدَ أن سَأَلُوهُ إن كَانَتْ صَلاتُهُ تأمُرُه بِنَهْيِهِمْ عَنْ عِبادَةِ غيرِ اللَّهِ، وعَنِ التَّطْفِيفِ في المِكيالِ والميزانِ والتصرُّفِ في أموالِهِمْ كما يشاؤون.

فقال لهم: أتعتقدونَ أنني سأَقْتَرِفُ مَا أنهاكُم عنه، إذا رزقني الله رِزْقاً حَسَناً. تأكّدوا أنّي لن أَفْعَلَ إلّا مَا آمُرُكُم به، فاللَّهُ سبحانَهُ وتعالى يَغْضَبُ على الذين يأمُرون الناسَ بشيءٍ ثمّ يفعلون عكسَ مَا يقولون: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصّف: الآيتان ٢ ـ ٣] وأنا لَا أريدُ أن يَغْضَبَ الله عليّ ويمقُتَني، إنِّي لَا أريدُ إلَّا الإصلاحَ.

لقد كانَتْ أقوالُ سيِّدِنا شُعَيبٌ مُطابِقَةً لأفعالِهِ، وكأنَّهُ يريدُ أَنْ يُري قومَهُ أنَّ مَا يقوله قد وصلتْ قناعَتُه بِهِ إلى شغاف قلبه، إلى فؤاده، وليس مُجَرَّدَ خاطِرَةٍ مرَّتْ عبْرَ الحواسِّ، ثمّ ٱنتقَلَتْ مُباشَرَةً إلى العَمَلِ، وَلَكِنَّها ٱنتَقَلَتْ مِنَ الحَواسِّ إلى الفؤادِ فَحَرَّكَتْهُ وَرَسَّخَتْ فيهِ، وصارتْ تَصَرُّفاتُه تَتِمُّ بعدَ مُراقَبَةِ اللَّهِ طَويلاً، فهو يَعبُدُ اللَّهَ كأنَّهُ يراهُ، فكَيْفَ يسمَحُ لِنَفْسِهِ بالخطأ أمامَ البصيرِ الرَّقيبِ. لقد بَلَغَ إيمانُ سيِّدِنا شُعَيْبٍ دَرَجَةَ الإحسانِ، وكان يَجِبُ أنْ يَصِلَ بقومِهِ إلى هذه المَرتَبَةِ، حتَّى يُولَدوا مِن جديدٍ ويصبحوا مؤمنين حقّاً. وَقَدْ قال الشاعر قديماً:

لا تَـنْـهَ عـن خُـلُـقٍ وتـأتِـيَ مِـثـلَـهُ عـارٌ عـلـيـك إذا فـعـلـتَ عـظـيـمُ

وقوله: ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ﴾ يقصد به الإصلاحَ العامَّ للحياةِ والمجتمعِ، الذي يعودُ صلاحُهُ بالخيرِ على كلِّ فَرْدٍ وكُلِّ جماعةٍ فيه، وإن خُيِّلَ إلى بعضِهِم أَنَّ اتّباعَ العقيدةِ والخُلُقِ يُفَوِّتُ بَعضَ الكَسْبِ الشَّخْصِيِّ، ويُضَيِّعُ بعضَ الفُرَصِ. فإنما يُفَوّتُ الكَسْبَ الخَبيثَ وَيُضَيِّعُ الفُرصَ القَذِرَةَ؛ ويُعَوِّضُ عَنْهُما كَسْباً طَيِّباً ورِزْقاً حلالاً، ومجتمعاً مُتضامِناً متعاوِناً، لَا حِقْدَ فيه ولا غدْرَ ولا خصامَ! وخَتَمَ كلامَهُ مَعَهُم بقولِه: ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾، أيْ: أَن الله سُبْحانَهُ وتعالى كلَّفني بِتَبْليغِ رسالَتِهِ لَكُمْ، وأنا أُنَفِّذُ أوامِرَهُ بِكُلِّ جُهدي وقدرتي، ولا أترُكُ مجالاً ولا مُناسبةً إلّا وبلّغتُكُمُ الرِّسالَةَ، ولكنّ التوفيقَ مِن عِند الله تعالى.

وتابعت كلامها: كَمَثَلِ التلميذِ، الذي يبذُلُ جهودَهُ كامِلَةً في سبيلِ حِفظ دروسِهِ والنَّجاحِ فِيْها، إلّا أنّ النجاحَ قد لَا يتِمُّ بِسَبَبِ ظُروفٍ طارِئَةٍ مِنْ مَرَضٍ أو حادِثٍ أو أيِّ شيءٍ يَمْنَعُ هَذَا النَّجاحَ مِنَ التَّمامِ.

هذِهِ الظّروفُ لَيْسَتْ نَتيجةَ عَمَلِ التلميذِ بل جاءتْ بِسَبَبِ إرادةِ اللَّهِ سبحانَهُ، وعلى الإنسانِ أن يكون توكُّلُهُ واعْتِمادُهُ على اللَّهِ وحدَهُ.

فَرِحَ الأولادُ وخالَتُهم بهذا الحديثِ القَيِّم، وهدأتْ نفوسُهُم وقرَّروا أن يؤدُّوا سجود شكر[1] للَّهِ تعالى على مَا أنعَمَ به عليهِم من كافَّةِ أنواعِ النِّعَمِ.

* * * * * *

(١) سجود الشكر ـ مثل سجود الصلاة ـ سجدة واحدة، يقول فيها ما يقوله في سجدة الصلاة: سبحان ربي الأعلى، سبحان ربي الأعلى، يحمد الله ويثني عليه (على النعمة التي حصلت) يدعوه جلَّ وعلا ويشكره.

قصة رقم ١٦

قصَّةُ أنبياءِ الله أيوبَ وذي الكفلِ وإليسع وإلياس ويونسَ عليهم السلام

- قصَّةُ أَيُّوب عليه السلام .
- قصَّةُ ذُو الكفل عليه السلام .
- وإليسع عليه السلام .
- وإلياس عليه السلام .
- قصَّةُ يُونس عليه السلام .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أنبياءُ اللَّه أيوب
وذو الكفل وإليسع وإلياس ويونس عليهم السلام

أيّوبُ عليه السلام:

خرجَ جميعُ أفرادِ أسْرَتَيّ أبي أحمدَ وأبي سارةَ، بَعْدَ أن صلَّوا الفَجْرَ وقرأوا بَعضَ آياتِ القرآنِ الكريم، حيثُ رَغَّبَنا اللَّهُ تعالى بفعلِهِ حين قال: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ [الإسرَاء: الآية ٧٨]، وجلسوا أمام شاطئ خليج العَقَبَةِ الجميلِ، فأجملُ مَا في هذه المِنطقةِ (شرم الشيخ) أنَّها تقعُ بَيْنَ خليجينِ: خليج السُّوَيْس في الغرب وخليج العَقَبَةِ في الشَّرْقِ. كانوا يراقِبون منظَر شروقِ الشمسِ الساحر الذي يأخُذُ بالألبابِ، إلاَّ أنَّهم مَا لبِثوا أن عَزَموا على التَّرَيُّضِ؛ فالشَّاطِئُ واسِعٌ والناسُ قليلونَ، مِمَّا يسمَحُ بإجراءِ التمارينِ الرِّياضِيَّةِ، وما أسرَعَ مَا صار الأولاد يتسابقون معَ أبيهم وزوجِ خالتِهِم ليَرَوا مَنِ الأسرعُ؛ بينما راحَتِ الأُمَّانِ تُمسِكانِ بالعربةِ التي تنامُ فيها سارةُ وَتَتَمَشَّيانِ وتَتَحَدَّثانِ.

وما هو إلَّا وقتٌ قليلٌ حتَّى بدأ باقي الزّوَّار يَخرُجونَ ويَنْتَشِرونَ على الشَّاطِئِ، فصار الركضُ مُتَعَذِّراً، فتابعوا رياضَتَهُم سَيْراً.

فجأةً شاهدوا مجموعةً مِنَ النَّاسِ يَخرُجونَ مِن أَحَدِ الشاليهاتِ الكبيرة وكأنهم فوج سياحي، وكانوا مصيبين في ظَنِّهم، لأنهم علموا فيما بَعْدَ أَنهم طُلاَّب إحدى المدارِسِ الكبيرة، التي تراعي سياستُها التربويةُ تعريفَ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الطلاَّبِ بطبيعةِ بلادِهم وآثارِها الموجودةِ. توقَّفوا قريباً مِنَ السيارةِ فأعجَبَهُم النِّظَامُ الذي يَتَمَسَّكُ بهِ جميعُ الطُّلاَّبِ، فلا فَوْضى ولا تدافُع؛ وما لفتَ أنظارَهُم أكثرَ قيامُهم بالرِّحلةِ الترفيهيةِ وهم يرتدونَ الزِّيَّ المدرسِيَّ؛ لَمْ يشاهدوا واحداً بثيابٍ مختلفة، جميعُهم بزِيٍّ موحَّدٍ، حتَّى المعلِّمين كانوا بثيابِهِمُ الرَّسميةِ.

لاحظتْ أمُّ أحمدَ توقُّفَ أولادِها عن رِياضتِهِم، فتَعَجَّبَتْ، ولكنَّ تعجُّبَها زالَ عندما شاهدتِ الطُّلاَّبَ المنظَّمين يقتربون منها، ففهمت عندئذٍ سبب هدوءِ أولادِها، والمثل يقول: (إذا عُرِفَ السببُ بَطُلَ العجبُ).

بعد قليل عادَ الأولادُ والابتسامةُ المُشرِقَةُ على وجوهِهِم. فسألتهم أمُّهم عن سَبَبِ ٱبْتِسامهم فقالوا:

الأولاد: هل شاهدتِ الطلاَّبَ الذين نزلوا على هيئةِ فَوْج سياحِيّ؟

الأم: أجل.

الأولاد: أَلَمْ يُعجِبُوكِ؟

الأم: وما أعجبكُم أنتُم بهم ولفتَ نَظَرَكم إليهم؟

الأولاد: نظامُهُمُ المُحْكَمُ وثيابُهم الموحَّدَة.

الأم: أليسَ هَذَا هو الواجِبُ؟ لقد جاؤوا برِحلةٍ مدرَسيةٍ ولم يأتوا مَعَ آبائهم، ليلبِسوا ثياباً متنوعة.

سكتَتْ الأمّ قليلاً، ولكنَّ أختها أكملَتْ: عندما يقومُ طُلابُ مدرسةٍ أو عُمَّالُ مؤسَّسَةٍ مُعَيَّنَةٍ برحلةٍ مُعَيَّنَةٍ، مِنَ الأَفْضَلِ أن يَتَمَسَّكُوا بهِندامِهِم الرَّسمِيِّ ليكونوا مميَّزينَ عن سائر السائحينَ، فينالوا من التَّكريمِ والاِحترامِ أكثرَ مما لو تخلَّوا عن زِيِّهِمُ الموحَّد.

اِتَّسَعَتْ عيونُ الأولادِ دَهْشَةً وٱنْبِهاراً.

الأم: أرى دهشتَكم تزدادُ! لماذا؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأولاد: لأننا كُلَّما تذكَّرنا منظر التلاميذِ المنضبطين يُعجِبُنا تَصرُّفُهم.

الأم: ديننا القويم حَثَّنا كثيراً على النِّظام والترتيب، والمُسلمونَ الأوائِلُ لَمْ يكن بإمكانِهِمُ الوصولُ إلى مَا وصلوا إليه مِنَ الفتوحاتِ العظيمةِ واحترامِ الناسِ لهم، لولا تمسُّكُهم بالنِّظام ووَحدةِ الكَلِمَةِ، التي يُمكِنُ التعبيرُ عنها بطُرُقٍ مُختلِفَةٍ ـ منها ارتداءُ الزِّيِّ الموحَّدِ ـ.

واتِّباعُ النِّظامِ الموحَّدِ في كلِّ شيءٍ لَا يأتي مُصادَفَةً، ولكنَّهُ يستلزِمُ الصَّبرَ المتينَ وقوَّةَ الاحتِمَالِ ومُجاهدةَ النَّفسِ؛ وَذَلِكَ لأن النفسَ أمَّارةٌ بالسوء.

في هَذَا الوقتِ علا صراخٌ من جِهَةِ البحرِ، فإذا يدٌ ترتفعُ مِنَ الماء! إنَّه غريقٌ يطلب النجدَةَ. فُوجِئَ أولادُنا عندما شاهدوا أحَدَ طُلاَّبِ الفوجِ السياحيِّ وَقَدْ بدأ بِخَلْعِ ثيابِهِ وهو يركضُ لإنقاذِ الغريق.

تجمَّعَ النَّاسُ أمامَ أهلِ الغريقِ الذين كادوا يُصابونَ بالجنونِ خوفاً مِن فقْدِ ابْنِهِم، ولكن سُرعانَ مَا تمَّ الإنقاذُ وأُجْرِيَتِ الإسعافاتُ الأوَّلية.

شَكَرَ جميعُ الموجودينَ ذلك التلميذَ البَطَلَ المُنقِذَ.

بعد أن هدأَتِ الأعصابُ المُتَوَتِّرَةُ، وعاد كلُّ إنسانٍ إلى مكانه قالت أمُّ سارة: الحياةُ مليئةٌ بالمصائِبِ، والدنيا دارُ ابتلاءٍ ـ كما تعلمون ـ والمؤمن الصابِرُ جزاؤه الجنةُ كما أخبرنا رسولُ الله ﷺ: «**عجباً لأمرِ المؤمنِ إنَّ أمرَهُ كلَّهُ له خَيْر، وليس ذاكَ لأحدٍ إلاَّ للمؤمنِ، إنْ أصابَتْهُ سرَّاءُ شَكَرَ فكان خيراً له، وَإنْ أصابتهُ ضرَّاءُ صبرَ فكان خيراً له**»[1].

الأم: أتعلمون؟ إنَّ الحديثَ عن الصَّبرِ والجَزَعِ والمصائِبِ والابتلاءاتِ ذكَّرني بِنَبِيٍّ مِنْ أنبياءِ الله عليهِم جميعاً الصَّلاةُ والسَّلامُ،

(١) رواه مسلم: حديث (٢٩٩٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ٱخْتَصَّهُ اللَّهُ بأعظمِ الٱبْتِلاءاتِ والمصائِبِ في جِسْمِهِ ومالِهِ وأولادِهِ، فصَبَرَ، فٱستَحَقَّ رضا اللَّهِ ورحمَتَه.

أحمد: هل تقصِدين نَبِيَّ اللَّهِ أيوبَ عليه السلام؟

الأم: طبعاً. فهو مِن أعظَمِ الأنبياءِ صبراً، لذا ٱتَّخَذَهُ النَّاسُ مثلاً وصاروا يقولون...

سامي (مقاطعاً): يا صبر أيوب!

الأم: أحسنتَ، ها أنت ذا قد سمعتَ المثل، فلماذا لَا تطبِّقُه، لماذا لَمْ تتعلَّم منه الصبر؟ فأنت تتعجَّل في كلِّ أمورك.

سامي: لا، أنا ـ فقط ـ سمعتُ المثل، ولكني لَمْ أسمع بما حدث للنَّبِيِّ!

الأم: حَسَناً. ستكونُ قصَّةُ هَذَا النبيِّ مِحْوَرَ سَمَرِنا اليومَ.

في هَذَا الوقت وصل أبو أحمدَ وأبو سارة، وسألا الأولادَ متعجِّبين: ماذا حصل؟ لما رجعتم إلى هنا وتركتُم الرياضة؟!!!

* * * * * *

أمضى رفاقُنا يومَهم بسعادة، فَقَدْ كانَ كلُّه نشيطاً ومنوّعاً، فمِن سِباحةٍ عاديَّة ـ دون أن يَنْسَوا حِصةَ سارة، فَقَدْ ٱشترَوا لها كرسيّاً خاصاً تجلس فيه ويساعِدُها على العَوْمِ ـ إلى مُحاولةِ ٱشْتِراكٍ في سِباقاتٍ مَعَ بعضِ السَّبَّاحين، إلى مُشاهَدَةِ بعضِ المُبارَيَاتِ في الغَطْسِ، فشرمُ الشَّيخِ شهيرةٌ بهذِهِ الأنواعِ مِنَ الرياضةِ، لذا خصّص فيها مراكزُ عدَّة لها.

وما لفتَ نظرَ الأولاد منظرُ العديدِ مِنَ اليُخوتِ ومحالِّ بَيْعِ أدواتِ الغَطْسِ، وبعضِ المُدرِّبينَ المُتخصِّصين، فتمنَّوا لو تَطُول إقامتُهم في هَذَا المكان لِيتعلَّموا رياضةً جديدةً بالنِّسبَةِ لهم. ولكنّ هَذَا غيرُ ممكنٍ، لأنَّهم

سينطلِقُون غداً في رحلةِ العودَة، التي علِموا أنَّهم سيقومون بها بحراً بواسِطَةِ عبَّارةٍ تنقُلُهم إلى الأُرْدُنِ عَبْرَ خليجِ العَقَبَةِ، ثمّ يستقِلُّون حافلةً كبيرةً مُكيَّفَةً، ومُزَوَّدَةً بوسائلِ الرَّاحَةِ تَنْقُلُهُم إلَى لبنانَ عبرَ الأراضي السُّوريَّةِ، أي: أنَّهم غداً سينامون في بيتِهم.

لذا قرَّروا أن يُنوِّعوا في مشاهداتهم، فلا يكتفون بمراقَبَةِ النَّشاطَاتِ المائِيَّةِ، بل يقصدُون صحراءَ سَيْناءَ التي هي ٱمْتِدادٌ طبيعيٌّ لشَرَمِ الشيخِ من جِهَتِهِ الشَّماليَّةِ، حيثُ تُقام بعضُ السِّباقاتِ على الجِمالِ أو الدرَّاجاتِ النارِيَّةِ...

وبالرَّغمِ مِنْ كَثرةِ النشاطاتِ التي قاموا بها، إلاَّ أنَّهم لَمْ يُضَيِّعُوا صَلَواتِهِم ولم يَتَكَاسلوا عنها، فَقَدْ كانَ صوتُ المُؤَذِّنِ يَصِلُ إليهم دَوْماً فيُذَكِّرُهُم بحلولِ الوقت. وَقَدْ قال رسول الله ﷺ: «**العِبادة في الهَرْجِ كهِجْرَةٍ إليَّ**»[1]. ولكنَّهم كانوا يقصُرونَ الصَّلواتِ الرُّباعيَّة، وَذَلِكَ لأنهم ما يزالون مسافرين.

اللَّيلُ في مِثلِ هذه المِنْطَقَةِ لَا يأتي، لأن الأضواءَ الكهرُبائيةَ فيه تُحيل الظُّلمَةَ نوراً. لِهذا فَقَدْ ينسى المرءُ نَفْسَهُ ولا يشعُرُ بالوقت. وهذا مَا حصل للأسرة. عادوا إلى مكانِ إقامَتِهِم متأخِّرين، ولكنَّهم لَمْ يكونوا يشعُرونَ بالتَّعَبِ، ومع هَذَا ٱغتسلُوا وبدَّلوا ثيابهم وجلسوا في أسِرَّتِهِم.

سامي: هل سَتَقُصِّينَ علينا سيرة نبيِّ الله أيوب عليه السلام؟

الأم: ألا تُحِسُّ بالنُّعاسِ؟ أنا أحسُّ به. غداً بإذنِ الله سنرجِعُ إلى بيتنا، وهناك سأقصُّ عليكم مَا تريدون إن شاء اللَّهُ تعالى.

الأب: هذا حقّ. فلقد تَعِبْنا جدّاً اليوم، ويحقُّ لنا أن ننام.

وما كاد الأب ينتهي من كلامه حتَّى بدأوا بالتثاؤب، فوضعوا أيديَهم

(١) رواه الإمام أحمد بن حنبل، والإمام مسلم (٢٩٤٨).

على أفواههم. لقد شعروا فجأة بالتَّعَبِ والنُّعَاسِ، وسُرعانَ مَا ٱستغرقوا في النَّوم.

* * * * * *

وفي صباح اليوم التّالي، رَكِبوا العَبَّارَةَ الكبيرة التي حَملَتْهم إلى الحُدود الأُردُنِيَّةِ، **فقال الأب**: ٱنظُرُوا إلى جَمال هَذَا الخليج. ٱنْظروا إلى مياهِهِ الهادِئَةِ! هَذَا الخَلِيجُ الصَّغِيرُ يفصِلُ بَيْنَ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ، ولولا وجودُ نُقطةٍ صغيرةٍ فيه يَقِفُ فيها بعضُ الجُنودِ اليهودِ لما كُنَّا بحاجة إلى هذه العبَّارة، بل كانَ يكفي أن ننتقل برّاً عَبْرَ صحراءِ سَيْنَاءَ إلى داخِلِ الأردن كما فَعَلَ سيِّدُنا موسى عليه السلام عندما هَرَبَ من فرعون إلى مَدْيَنَ حيثُ التقى الرجلَ الصالحَ وابنتيه.

وبالفِعلِ لاحظَ أولادُنا هَذَا بأنفُسِهِم عندما نزلوا مِنَ العبَّارةِ لِيَستَقِلُّوا الحَافِلَةَ الكبيرةَ، فَقَدْ رَأَوا الأَرْضَ تقترِبُ من بعضها.

وصلوا إلى البيتِ مساءً بَعْدَ أن ودَّعُوا خالَتَهم وزوجَها، والصغيرةَ سارة، وكما فعلوا أمس ٱغتسلوا وناموا مبكِّرين.

في مساءِ اليومِ التالي؛ **قال الأولادُ لأمِّهم**: لقدِ ٱرْتَحْنَا الآن، وها نحنُ أولاءِ نجلِسُ في بيتنا...

الأم: ماذا تقصِدُون؟

الأولاد: قِصَّة نبيِّ اللَّهِ أيّوب عليه السلام.

الأم: هي قِصَّةُ الصَّبرِ والإيمانِ، الصَّبرُ بجميعِ أنواعِه وأحوالِه.

جميل: وهل للصَّبرِ أنواعٌ وأحوالٌ؟

الأم: طبعاً. فهناك **الصَّبرُ على الأذى** في سبيلِ الله، وهو الصَّبرُ الذي يتعرَّضُ له جميعُ الدُّعاةِ إلى مَا يُخالِفُ مُعتقداتِ النَّاسِ وأفكارَهم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتقاليدَهم الباطلة، ولا سيَّما الدُّعاة إلى تَوْحيدِ اللَّهِ تعالى، وَنَبْذِ عِبادةِ المخلوقات.

سامي: كما حَدَثَ مَعَ سيِّدِنا لوطٍ عليه السلام، أليس كذلك؟

الأم: طبعاً. جميع الأنبياءِ عليهم السلام تعرَّضوا لأذى الكافرين.

وتابعت الأمّ كلامها: وهناك **الصَّبرُ عَنِ الشَّهَوَاتِ والمعاصي**، وهو صبرُ المؤمنين وذوي العُقولِ النَّيِّرَةِ ـ وَذَلِكَ عندما يُصَدّقُ المؤمِنون دَعوَاتِ أنْبيائِهم ويُطِيعُونَهم ويبتعدونَ عن كلِّ المنكَرات التي كانوا يفعلونها ـ ولا تحسَبوا أنَّ هَذَا سهلٌ، بل هو صعبٌ جدّاً أن يترُكَ الإنسانُ مَا نَشَأَ عليه واعتاد فعلَهُ؛ فالعادةُ طبيعةٌ ثانِيَةٌ، لهذا بَشَّرَ اللَّهُ هؤلاءِ الصَّابِرِينَ بالجَنَّةِ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النّازعات: الآيتان ٤٠ ـ ٤١]. وقال رسولُ الله ﷺ: «**الدنيا سِجْنُ المؤمنِ وجَنَّةُ الكافرِ**»(١).

أحمد: هذا صحيحٌ، فَلَوْ أنَّ إنساناً اعتادَ الغشَّ والتَّزْوِيرَ في جميعِ أعمالِهِ، فَمِنَ الصَّعبِ أن يَسِيرَ على الطَّريقِ السويِّ وَيَعمل بإخلاصٍ، لأنَّه سَيَخْسَرُ المالَ الكثيرَ الذي كانَ يكسَبُهُ مِنْ غِشِّهِ.

الأب: هذا صحيحٌ، ولكنْ لَا تنسَ أنَّ مَنْ يَكسِبُ مالَهُ مِنَ الغشِّ فإنَّ هَذَا المالَ لَنْ يكونَ مُباركاً فيه، بلْ إنَّه لَنْ يَنْفَعَ صاحِبَهُ إطلاقاً وسَيَكونُ مَجلبةً لِلشَّرِّ والخُسرانِ، كما حَدَثَ لبائِعِ الحليبِ الذي كانَ يَمْزِجُ الحليبَ بالماءِ ليَبْدُوَ كثيراً، هل تذكُرون ماذا حَدَثَ له؟

أحمد: أجلْ، لقد غَرِقَتْ بَقَرَتُهُ في السَّيلِ، وَخَسِرَ كلَّ شيء.

الأم: لهذا قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ غَشَّ فليس مِنَّا**»(٢).

---

(١) رواه مسلم (٢٩٥٦).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٠٢٣٤)، والصغير (٧٣٨)، وصححه ابن حبان (٥٥٥٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وتابعتْ حديثَها: النوعُ الثالثُ من الصَّبرِ هو **الصبرُ على طاعةِ الله**.

جميل: وهلِ الطَّاعَةُ تحتاجُ إلى الصبر؟

الأب: الطَّاعاتُ هي أكثرُ شيءٍ يحتاجُ إلى الصَّبر في تأدِيَتِه ومجاهدةِ الشيطانِ، **وهي أعلى مراتِبِ الصبر**، كما قال النبي ﷺ: «**أحبُّ الأعمالِ إلى اللَّهِ ﷻ أدْوَمُها وإنْ قَلَّ**»(١).

الأم: أما النَّوعُ الرابعُ مِنَ الصَّبرِ هو **الصبرُ على المصائِبِ والبلايا**، سواءٌ كَانَتْ في الجَسَدِ أوِ الأهلِ أوِ المالِ، وهو الصَّبر الذي كابدَهُ سيدُنا أيوب عليه الصلاة والسلام.

سامي: ومَنْ هو هَذَا النبيُّ؟ هل هو مِنَ الأنبياءِ العَرَبِ أمْ من أنبياءِ بني إسرائيلَ(٢)؟

الأم: قلْ كم مرّةً ذُكِرَ اسمُ أيوبُ عليه السلام؟

سامي: تَقْصِدينَ لَمْ يُذْكَرْ إلَّا قليلاً؟...

الأم: وَرَدَ اسمُ أيوبٍ عليه السلام أربَعَ مَرّاتٍ في القرآن الكريم؛ في سورةِ النساء والأنعام والأنبياء، وص.

ذهب سامي لإحضار المُصْحَفِ سريعاً لوالدته.

الأم: هل تَذْكُرون الحديثَ عن السُّوَرِ المكيّةِ والسُّوَرِ المدنية؟

الأولاد جميعهم: نعم؛ نذكرُ ذلك فَقَدْ أخبرتِنَا عن معنى السُّوَرِ المكية والسُّوَرِ المدنيّة في قصّة يوسف عليه السلام.

الأم: لم أذكُرْ لكُم أسماءَ السُّوَرِ التي نَزَلَتْ في مكّةَ وكم عددُها

---

(١) رواه الإمام أحمد بن حنبل.

(٢) بنو إسرائيل: المقصود بهم سيدنا يوسف وإخوته.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وترتيبُها حسبَ النزول[1].

(١) أسماء السور المكية التي نزلت قبل الهجرة هي:

السور المكية

١ ـ العلق	٢ ـ القلم	٣ ـ المزمل	٤ ـ المدثر
٥ ـ الفاتحة	٦ ـ المسد	٧ ـ التكوير	٨ ـ الأعلى
٩ ـ الليل	١٠ ـ الفجر	١١ ـ الضحى	١٢ ـ الشرح
١٣ ـ العصر	١٤ ـ العاديات	١٥ ـ الكوثر	١٦ ـ التكاثر
١٧ ـ الماعون	١٨ ـ الكافرون	١٩ ـ الفيل	٢٠ ـ الفلق
٢١ ـ الناس	٢٢ ـ الإخلاص	٢٣ ـ النجم	٢٤ ـ عبس
٢٥ ـ القدر	٢٦ ـ الشمس	٢٧ ـ البروج	٢٨ ـ التين
٢٩ ـ قريش	٣٠ ـ القارعة	٣١ ـ القيامة	٣٢ ـ الهمزة
٣٣ ـ المرسلات	٣٤ ـ ق	٣٥ ـ البلد	٣٦ ـ الطارق
٣٧ ـ القمر	٣٨ ـ ص	٣٩ ـ الأعراف	٤٠ ـ الجن
٤١ ـ يس	٤٢ ـ الفرقان	٤٣ ـ فاطر	٤٤ ـ مريم
٤٥ ـ طه	٤٦ ـ الواقعة	٤٧ ـ الشعراء	٤٨ ـ النمل
٤٩ ـ القصص	٥٠ ـ الإسراء	٥١ ـ يونس	٥٢ ـ هود
٥٣ ـ يوسف	٥٤ ـ الحجر	٥٥ ـ الأنعام	٥٦ ـ الصافات
٥٧ ـ لقمان	٥٨ ـ سبأ	٥٩ ـ الزمر	٦٠ ـ غافر
٦١ ـ فصلت	٦٢ ـ الشورى	٦٣ ـ الزخرف	٦٤ ـ الدخان
٦٥ ـ الجاثية	٦٦ ـ الأحقاف	٦٧ ـ الذاريات	٦٨ ـ الغاشية
٦٩ ـ الكهف	٧٠ ـ النحل	٧١ ـ نوح	٧٢ ـ إبراهيم
٧٣ ـ الأنبياء	٧٤ ـ المؤمنون	٧٥ ـ السجدة	٧٦ ـ الطور
٧٧ ـ الملك	٧٨ ـ الحاقة	٧٩ ـ المعارج	٨٠ ـ النبأ
٨١ ـ النازعات	٨٢ ـ الانفطار	٨٣ ـ الانشقاق	٨٤ ـ الروم
٨٥ ـ العنكبوت	٨٦ ـ المطففين		

=

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بدأَتِ الأمُّ ذِكْرَ الأسماءِ بالتَرْتيبِ إلى أنْ وصلتْ إلى سورة صٓ، فقالت: ترتيبُها حسبَ النزولِ هو (٣٨) وكما ذكرت لكم قبلَها سورة القمرِ وترتيبُها حسبَ النزول (٣٧)، وهما من السُّوَرِ الأوائل التي تحدَّثَتْ عن قَصَصِ الأنبياء بالمجمل، فَقَدْ تَحَدَّثَتْ سورةُ القمرِ عن إنزالِ العِقابِ المُهْلِكِ، إهلاكِ قَوْمِ نوحٍ عليه السلام، وإهلاكِ عادٍ قومِ هودٍ عليه السلام، وإهلاكِ ثمودَ قومِ صالحٍ عليه السلام، وإهلاكِ قَوْمِ لوطٍ عليه السلام، وإهلاكِ فِرْعَوْنَ وآلِهِ وجنودِهم.

نزلتِ السورةُ على رسولِ الله ﷺ، بَعْدَ آياتِ انشقاقِ القمرِ، وَذَلِكَ بَعْدَ أن طلبَ منه الكفار آيةً ماديةً تُثْبِتُ نُبُوَّتَهُ، ومع ذلك لَمْ يُؤْمِنوا؛ أمّا سورة «ص» فَقَدْ ذَكَرَتِ الإنذارَ بالعذابِ من اللَّهِ كما حَدَثَ مع الأُمَمِ السابقة إذ أَصَرَّ كُفَّارُ قريش على عَدَمِ الإيمانِ، وحَثَّتْ على الصَّبر، وذَكَرَتْ أسماءَ الأقوامِ الذين أهلَكَهم الله، حيثُ ذَكَرَتْ قَوْمَ نوحٍ، وَعادٍ، وفرعونَ، وثمودَ وقومِ لوطٍ، وأصحاب الأَيْكَةِ (قصة شعيب)، وذكرت قصّةَ داودَ عليه السلام مفصَّلَةً حِكْمَةً لِبَني إسرائيلَ، وتحدَّثَتْ عن سَيّدنا سليمان عليه السلام إلى أنْ وَصَلَتْ إلى ذكرِ أيوبَ عليه السلام: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ

= **السور المدنية**

١ ـ البقرة	٢ ـ الأنفال	٣ ـ آل عمران	٤ ـ الأحزاب
٥ ـ الممتحنة	٦ ـ النساء	٧ ـ الزلزلة	٨ ـ الحديد
٩ ـ محمد	١٠ ـ الرعد	١١ ـ الرحمٰن	١٢ ـ الإنسان
١٣ ـ الطلاق	١٤ ـ البينة	١٥ ـ الحشر	١٦ ـ النصر
١٧ ـ النور	١٨ ـ الحج	١٩ ـ المنافقون	٢٠ ـ المجادلة
٢١ ـ الحجرات	٢٢ ـ التحريم	٢٣ ـ الصف	٢٤ ـ الجمعة
٢٥ ـ التغابن	٢٦ ـ الفتح	٢٧ ـ التوبة	٢٨ ـ المائدة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ [ص: الآيات ٤١ ـ ٤٧].

وَتُكْمِلُ بَعْدَها أسماء السُّورِ لتصلَ إلى سورةِ الأنعام، وترتيبها حسب النزولِ (٥٥)، وسورةَ الأنعام ذاتُ عناية جليلة من العليمِ العلَّام، فَقَدْ صحبتْ نزولها مواكب من الملائكةِ، يجأرون بتسبيحِ الله وتحميدهِ (تَمْتَمَ الجميعُ سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم)، في زجلٍ تطريبيٍّ، وَقَدْ جَاءَ بيانُ عنايةِ الله بها في أحاديث عنِ النَّبيِّ ﷺ منها الصحيح ومنها دونَ ذَلِكَ، وذُكِرَ اسمُ أيّوبٍ عليه السلام ضمنَ مجموعةٍ منَ الأنبياءِ عليهم السلام: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنعام: الآية ٨٤].

والحديثُ في هذهِ السُّورَةِ عن سيِّدِنا إبراهيمَ عليه السلام، فالأنبياءُ المذكورون همْ مِنْ ذرّيةِ إبراهيمَ، وهم: داودَ وسليمانَ وأيوبَ ويوسفَ وموسَى وهارونَ، وزكريَا ويحيَى وعيسَى وإلياسَ، وإسماعيلَ واليسعَ ويونسَ ولوطاً عليهم السلام.

وهذا يدلُّ على أنَّ أيوبَ عليه السلام كانَ من ذريةِ إبراهيم أبي الأنبياء عليه الصلاة والسلام[1].

وتكمل الأمُّ أسماء السّورِ المكيةِ لتصل إلى سورة الأنبياء، ورقمها حسب النزولِ (٧٢) وتحدثت عن سيِّدنا أيوب في آيتين من آياتها (٨٣ ـ ٨٤) قال تعالى: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الرابع، ص٧ ـ ٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: الآيتان ٨٣ ـ ٨٤]، تَحَدَّثَتْ السُّورَة بإشارةٍ سريعةٍ إلى ابتلاءِ أيوبَ عليه السلام، حيثُ تضرَّعَ إلى ربّهِ، طالباً منه كشف الضُّرِّ، فاستجابَ الله له ورحمَه، فكشفَ ضرّه وعوَّضه من أهله مثلهم معه.

أما سورةُ النساءِ فهي مدنية ورقمها حسبَ النُّزولِ في المدينةِ (٦)، وفي السُّورَة ورد اسمه ضمن مجموعةِ الأنبياءِ الكرام عليهم السلام. قال تعالى: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء: الآية ١٦٣]. ونَصَّتِ الآية بأنّ الله أوحى إلى هؤلاءِ الأنبياءِ عليهمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ الوحي، ومعلومٌ أنَّ جبريل عليه السلام هو أمين الوحي، وأن الله كانَ يُرسله إلى من يتخذه نبياً، ليبلِّغَه النبوَّةَ.

فأيّوبُ عليه السلام نبيٌّ منْ أنبياءِ الله، أوحَى اللهُ إليه، بنصِّ هذه الآيةِ[1].

أحمد: عوَّدتِنا دوماً الحديث عنِ المبهماتِ أولاً قبلَ الحديثِ عن الأنبياءِ... حتَّى لَا نسألُك سؤالًا يكونُ من المبهماتِ...

الابتسامةُ على وُجوهِ الجميعِ استحساناً لما قاله أحمد... سِوى سامي.

سامي: دوماً مبهمات مبهمات مبهمات.

ضَحِكَ الجميعُ.

الأب: نعمْ يا سامي مبهمات، حتَّى لَا تكثر الأسئلة.

الأمُّ: فَلْتَسْأَلْ عن مَا نتحدَّث عنه حتَّى تعرف كلَّ شيءٍ هل اتفقنا؟

الجميع: نعم نعم نعم.

---

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الرابع، ص٧.

الأب: أمَّا المبهمات في قصّةِ أيوبَ عليه السلام فهي كثيرةٌ، منها أنَّ الحديث القرآنيَّ الموجزَ عن قصّةِ أيوب عليه السلام، كانَ بهدفِ العبرةِ والعظةِ، ليقتدِي أصحاب الابتلاء بأيوبَ عليه السلام في ابتلائه، ليصبروا كما صبرَ، ويتحمَّلوا كما تحمَّل ويرضوا بقدر الله كما رَضِيَ هو، ويُقبِلوا على الله كما أَقْبَلَ هو، ويتضرَّعوا إلى اللهِ كما تضرَّع هو، وينتظروا الفَرَجَ مِنَ الله كما انتظر هو(١).

جميل: إذن المهمُّ من القصَّةِ هو أخْذ العِبَرِ والعِظَاتِ وليسَ القصّةَ بحدِّ ذاتها.

أحمد: بما أنَّها مكيّة، يعني تَنَزَّلتْ على قلبِ رسولِ اللهِ ﷺ ليصبرَ أصحابه ـ من آمن به سرّاً ومن آمنَ به جهراً ـ عَلَى تعذيب كفّارِ قريشٍ للمؤمنين، فتأتي الآياتُ تدعوهم للصَّبرِ، كصبرِ سيِّدنا أيوب عليه السلام.

الأب: أحسنتَ بنيَّ، كما قلتَ هي إشارات إلى ابتلاءِ النبيِّ أيوبَ عليه السلام، ليقتدي أصحابُ الابتلاءِ بأيوبَ عليه السلام، مع العلمِ أنَّ هناك مبهماتٌ كثيرةٌ في قصّته، لن نُتْعِبَ أنفسَنا في بيانها، لعدمِ وجودِ دليلٍ عليها في الأحاديثِ والآياتِ: نسبُ أيوب عليه السلام، تحديدُ الزمانِ الذي بُعِثَ فيه، هل هو بَعْدَ إبراهيم عليه السلام أم بَعْدَ سليمان عليه السلام، وتحديدُ القومِ الذين بعثَهُ الله إليهم، وتحديدُ المدينةِ أو المنطقةِ التي عاشَ فيها، وتحديد عمره عندَ النُّبوة، وعمره الذي ماتَ عنه، وعدد أهلِهِ من الأولادِ والبناتِ، وأسماءُ زوجهِ وأولادهِ وبناتِه، وعددُ أمواله منَ الأنعامِ والماشيةِ، وتحديدُ سببِ ابتلائِه، وأنواعِ الأمراضِ التي أصابَتْه، وتفاصيلُ هَلَاكِ أَمْوَالِهِ وَأَهْلِهِ، وتفاصيلُ الحِوارَ بَيْنَه وَبَيْنَ أصدقائِهِ، ومظاهرُ مرضِهِ وتَطوراته عليه، وتفاصيلُ الخِلافِ بَيْنَه وَبَيْنَ امرأتِه، ثمّ تفاصيل شِفائِه منَ الأمراضِ، وتفاصيلُ عودةِ أهلِهِ وأموالِهِ.

---

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الرابع، ص٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كلُّ هذه الموضوعاتِ والمسائلِ من «مبهماتِ القرآن» التي لَمْ يرد بيان لها في الآياتِ والأحاديثِ الصحيحةِ المرفوعة إلى النبيِّ عليه الصلاة والسلام، فلا نحاولُ بيانها، ولا نخوضُ في الحديثِ عنها[1].

سامي: كلُّ هذه مبهمات...

الأب: إنّ هَذَا لَا يضرُّ سيِّدنا أيوب عليه السلام في شيءٍ فهو نبيٌّ من أنبياءِ الله، (والنبوّةُ والرسالةُ منحةٌ إلٰهيةٌ، واصطفاءٌ رَبانيٌّ - كما ذكرنا في عرضِ الأمانةِ[2] - واجتباءٌ مِنَ اللَّهِ، عَن طريقِ الوحي الإلٰهيِّ)[3]. ثمّ إنّ النبيَّ ﷺ قال: «**الأنبياءُ إخوةٌ لِعلاَّتٍ**[4]، **أُمّهاتُهم شَتّى وَدِيْنُهم واحِدٌ**»[5].

وقديماً قال الشاعر:

«كُنِ ٱبنَ مَنْ شِئْتَ واكتسبْ أَدَبا ... يُغْنِيكَ محمودُه عَنِ النّسبِ
إنَّ الفتى مَنْ يقولُ ها أنذا ... ليس الفتى مَنْ يقولُ كانَ أبي

لقد أرسلَ اللَّهُ تعالى هَذَا النَّبيَّ إلى أمةٍ - كما قلنا هي من

---

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الرابع، ص٩ - ١٠.

(٢) العرض: يطوى من ذاكرتكم هذا العرض وهذا الحوار، وتطوى من ذاكرتكم هذه المعرفة والإيمان به إيماناً غيبياً، وإلى معرفة الغاية من وجود الأمانة الكبرى تحت سلطتكم، وترسل إليكم الرسل، وتنزل إليكم الكتب، لتعرفكم بيان المطلوب منكم، وإنذاركم وتحذيركم، وتبشير من آمن وأطاع منكم، ويخبرونكم بما جرى في هذا العرض. (الميداني، حسن حبنكة، روائع من أقوال الرسول ﷺ، ص٣٣٧).

(٣) الصباغ، بسام، **الدعوة والدعاة بين الواقع والهدف**، دمشق، دار الإيمان، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص١٦٩.

(٤) إخوة لعلّاتٍ: أي بنو رجلٍ واحدٍ وأمهاتٍ شتّى. وفي الحديث الشَّريف: الأنبياء إخوةٌ لعلّاتٍ: أي أنّ دينهم واحدٌ وشرائعهم مختلفة.

(٥) أخرجه البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥)، أخوة علات: الأخوة لأب.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبهماتِ ـ ورَزَقَهُ اللَّهُ الصِّحَّةَ والعافيةَ، والنَّسَبَ الشَّريفَ، والزوجَةَ الصَّالِحَةَ المُحِبّةَ، والأولادَ الكُثُرَ، والأصحابَ المحِبّينَ. ولِمَ لا؟ فالناسُ بِطَبيعتِهم ينظُرون إلى ذوي النِّعمةِ ليلتفّوا حولَهُم وَيكتَسِبوا مِنْهم.

شاءَ الله أن يختبرَ أيوبَ ويمتَحِنَ صَبْرَهُ، ونحنُ نعلَمُ أنَّ الأنبياءَ هُمْ أشدُّ النَّاسِ بلاءً، كما قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**أشدُّ الناسِ بلاءً الأنبياءُ، ثمّ الأمْثلُ فالأمثلُ، يُبْتَلَى الرَّجلُ على حَسَبِ دِينِهِ، فإن كانَ في دينِهِ صلابةٌ اشتدَّ بلاؤُهُ، وإن كانَ في دينِهِ رِقَّةٌ ٱبْتُلِيَ على قدْرِ دِينِهِ، فما يبرَحُ البلاءُ بالعبدِ حتَّى يترُكَهُ يمشي على الأرضِ وما عليهِ خطيئةٌ**»[1].

وبدأتِ المصائبُ والِابتِلاءاتُ تتوالى على سيِّدِنا أيوب عليه السلام، فخَسِرَ صِحَّتَهُ ومالَهُ وأولادَهُ، وابتعد عنهُ الأهْلُ والأصحابُ.

أحمد:

ما أكثرَ الإِخوانَ حِينَ تَعُدُّهُمْ ولكِنَّهُم في النَّائِبَاتِ قليلُ

الأم: طال مَرَضُهُ وٱنْقَطَعَ زُوَّارُهُ وٱزْدادَ فَقْرُهُ، ولمْ يَشْتَكِ، ولم يَتَبَرَّمْ، وَلَمْ ينقُصْ إيمانُهُ باللَّهِ، ظَلَّ كما كان...

أحمد: لقد سمعتُ بهذِهِ القِصَّةِ مِنْ بعضِ رفاقي، كانَ يقولُ: إنَّ نبيَّ اللَّهِ أيوبَ أُصِيبَ بمرضٍ قذِرٍ، فتساقط لَحْمُهُ وأَكْلَهُ الدودُ، ولم يفقِدْ صبرَه، وكان كُلَّما سَقَطَتْ عنه دودةٌ حَمَلَها وأعادَها إلى جِسْمِهِ!!

الأم: إنَّ اللَّهَ سبحانَهُ وتعالى يَبْتَلي عِبادَهُ الصَّالحين، ولكنَّه لَا يَبْتليهِم بِشَيءٍ مِثلِ الذي تقول، لأنَّ هَذَا يُنافي عِصْمَتَهُم من كُلِّ مرضٍ مُنَفِّرٍ، يُقَلِّلُ منِ ٱحْترامِ النَّاسِ لهم. أنا أيضاً سَمِعتُ بما تقولُ،

(١) رواه الترمذي (٢٣٩٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بل أكثرَ، لقد حَصَلَ مَا كنتُ أُخبِرُكَ به، لقد قالوا أنَّ قومَهُ ٱحْتَقَرُوهُ وأَخْرَجُوهُ مِنْ بَلْدَتِهِم وَوَضَعُوهُ على مَزْبَلَةٍ، خوفاً على أَنفُسِهِم مِنْ غَضَبِ اللَّهِ، لِأَنَّهُمُ ٱعْتَقَدُوا أَنَّ اللَّهَ تعالى غضبانٌ على أيوبَ... وغير ذلك منَ الافْتِراءاتِ.

إنَّ هَذَا الكلامَ كُلَّهُ مِنَ (اليهوديّات)، ولم يَرِدْ به نَصٌّ مَوْثوقٌ بِه في الشَّرِيعةِ الإسلاميَّةِ. ولكنَّ الذي وَرَدَ هو مَا رواه الصَّحابِيُّ أنسُ بْنُ مالكٍ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ أيّوبَ نَبِيَّ اللَّهِ كانَ في بلائِهِ ثماني عَشْرَةَ سنةً. فَرَفَضَهُ القريبُ والبعيدُ إلاَّ رجُلانِ مِن إخوانِه، كانا من أخصِّ إخوانِهِ، كانا يغدُوانِ إليه ويروحان إليه، فقال أحدُهما لصاحِبِه: أتعلمُ، والله لقد أَذنَبَ أيوبُ ذنباً مَا أذنَبَهُ أحدٌ، قال صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثماني عشرةَ سنةً لَمْ يرحمْهُ اللَّهُ فيكشِفُ عنه؟! فلما راحا إليه لَمْ يصبِرِ الرَّجُلُ حتَّى ذكرَ ذلك له، فقال أيوبُ: لاَ أدري مَا يقولُ، غيرَ أنَّ اللَّهَ يعلَمُ أنِّي كنتُ أمرُّ على الرجلين يتنازعانِ فيذكرانِ اللَّهَ، فأرجع إلى بيتي فأكفِّر عنهما كراهيةَ أن يُذْكَرَ اللَّهُ إلاَّ في حقٍّ قال: وكان يخرج إلى حاجته فإذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده حتَّى يبلغ، فلما كانَ ذات يوم أبطأ عليها، وأُوحي إلى أيوب في مكانه أن** ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾ [صٓ: الآية ٤٢].

فاستبطأَته فلقيته ينتظر، وأقبلَ عليها، قد أذهبَ الله مَا بِه من البلاءِ، وهو على أحسنِ مَا كان، فلما رأته قالتْ: أي باركَ الله فيكَ، هل رأيتَ نبيَّ الله هَذَا المبتلى، ووالله على ذلكِ مَا رأيتُ أحداً أشبهَ بِهِ منكَ إذ كانَ صحيحاً، قال: فإني أنا هو.

وكان له أندران: أندرٌ للقمحِ، وأندرٌ للشعيرِ، فبعثَ الله سحابتين فلمَّا كَانَتْ إحداهما على أندر القمحِ أفرغَتْ فيه الذهب حتَّى فاضَ، وأفرغتِ الأخرى على أندرِ الشَّعيرِ الورق حتَّى فاضَ».

الأندر: البيدرُ وهو الموضع الذي يُستخرج فيهِ القمحُ منَ السنابلِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حتَّى فاضَ: حتَّى امتلأ»[1].

قالتِ الأم: أرأيتُم؟ لَمْ يقلْ سيدُنا محمد ﷺ شيئاً عنِ الدُّودِ، ولا عن نوعِ المَرضِ الذي أصابَ سيدَنا أيوبَ. فَقَدْ قال: «**فرفضه القريبُ والبعيدُ**».

جميلٌ: ولماذا رفضوه إذاً؟

الأمُّ: هذه حالُ معظمِ النَّاس يا بنيّ، يُقْبلون على المرءِ مَا دام في صحةٍ وعافيةٍ ويسارٍ، فإذا مَا فَقَد هذه الأشياء تركه أصحابه.

الأب: أجل، وهذا مَا عبّر عنه الشاعر بقوله:

رأيتُ النَّاسَ قد مالوا ... إلى مَنْ عندَه مالُ
ومَنْ لَا عندهُ مالٌ ... فعنه النَّاسُ قد مالوا

جميل: ولماذا لَمْ يدعُ ربَّهُ أن يَشْفِيَهُ؟

الأمُّ: الأنبياءُ دَوْماً مستجابو الدُّعاءِ، ولكنَّ سيدَنا أيوبَ فضَّلَ الصبرَ على الابتلاء، لأنَّ للَّهِ مَا أعطى، وللَّهِ مَا أَخَذَ.

الأب: هذا الكلامُ يُذَكِّرُنِي بحديثِ المرأةِ التي كَانَتْ تُصْرَعُ فَتتكشَّفُ، فذهبتْ إلى رسولِ الله ﷺ تسأله أن يدعو لها بالشفاء، فأجابها: «**إن شِئتِ صبرتِ ولكِ الجنةُ، وإنْ شِئتِ دعوتُ اللَّهَ أنْ يُعَافِيَكِ**»[2]. قالَت: أصْبِرُ، قالت: فإنّي أتكَشَّف فادعُ الله أن لَا أتكشّف. فدعا لها.

---

(١) أخرجه أبو يعلى (٣٦١٧)، وابن حبان (٢٨٩٨)، وقال الأرناؤوط: صحيح على شرط مسلم، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٥٨١ ـ ٥٨٢)، وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي والضياء في المختارة، وقد صححه الشيخ الألباني في صحيحه (١٧).

(٢) رواه الإمام أحمد بن حنبل، والبخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٢٥٧٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

استأنفت الأمُّ كلامَها ـ بعدَ أنْ أَخَذَتْ نَفَساً عميقاً ـ: لقد كانَ سيدُنا أيوبُ مِثالاً للصَّبرِ الجميلِ الذي ليس معه تأفُّفٌ ولا تَبَرُّمٌ. لَمْ يَكُنْ يشكو، ولم يكن يَتَسَخَّطُ، بل كانَ دائمَ الصَّلاةِ والذِّكرِ. لهذا مَدَحَهُ اللَّهُ تعالى في سورةِ صٓ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [صٓ: الآية ٤٤]، أي: إنه رَجَّاعٌ مُطيعٌ.

جميل: وكيف كَشَفَ اللَّهُ سُبْحانه وتعالى عَنْ أيوبَ مَا ألمَّ به؟

الأم: قلنا إنَّ جميعَ الناسِ هجروا سيدَنا أيوبَ، ولم يَبقَ معه سوى ٱمرأتُهُ الصَّابِرَةُ، التي ذكرها سيِّدُنا محمّد ﷺ في الحديثِ نفسه الذي ذكرناه آنفاً بقوله: «. . .**وكان يخرجُ إلى حاجته فإذا قضى حاجَتَه أمسكتِ امرأته بيدهِ حتَّى يبلغ**».

بعدما ذكر أيوب عليه السلام أنَّه مسّه الضرّ في نفسه وبدنه، حيثُ أصابه المرض والضعف. ومسّه الضُّرُّ في أهله وأولاده، ولا نعرف كيف، ومسّه الضُّرُّ في أمواله وممتلكاته، ولا نعرف كيف.

الآية: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ يدل على الشمول واستغراق كلّ المجالات والجوانب.

توسل إلى الله برحمته أن يكشف عنه ضِره، فالله رحمٰنٌ رحيمٌ، وهو أرحمُ الراحمينَ، ومن مظاهرِ رحمتهِ أن يكشفَ الضرّ عن عباده، وبخاصة إذا كانوا عباداً صالحين كأيوب عليه السلام.

فدعا سيِّدنا أيوب الله أنْ يرحمَهُ. لَمْ يقُلْ يا ربِّ ٱكْشِفْ عنِّي الضُّرَّ الذي ٱبْتَلَيْتَنِي بِهِ، بَلِ ٱكْتَفَى بِوَصْفِ حالِهِ أَنَّهُ قَدْ مَسَّهُ الضُّرُّ، وَنَسَبَ هَذَا الضُّرَّ إلى الشَّيْطانِ: ﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [صٓ: الآية ٤١]. وإلاّ فإن الله هو الذي قَدَّرَ أن يبتليه، ويوقع به الضر، ويصيبه النصب والعذاب،

لأن الله هو الذي يفعل مَا يشاء، ويوقعَ بعبادهِ مَا يشاء، وكلّ مَا يصيبهم من ضرٍّ أو نفعٍ، وخيرٍ أو شرٍّ، فهو من الله في الحقيقةِ، لأنَّ الأُمورَ كلّها بيده، الخلقُ خلقه، والأمرُ أمره، والفعلُ فعله سبحانه.

وفي الحقيقةِ فإنه لَا سلطان للشيطان على أيوبَ عليه السلام، لأنَّه نبيٌّ كريمٌ عليه السلام، وعَصَمَ الله أنبياءه من الشيطان، فلم يجعلْ له سلطاناً عليهم. وأعاد لَهُ اللَّهُ كُلَّ مَا خَسِرَهُ مِن مالٍ وأولادٍ وأصحابٍ وجاهٍ.

فرحَ أيوب عليه السلام وفرحَتْ زوجته للنِّعمة التي أسداها الله لهما، وبُقيتْ مسألةٌ في قصّة أيوب عليه السلام، وهي خلافُهُ مع أهلهِ، وحلفُه اليمين بالله ليعاقبهم. وَقَدْ أشارَ إلى هذه الحادثةِ قوله تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْۗ﴾.

وكانَ هَذَا بعدما عافاه الله في بدنه، وآتاه أهلَه، وعوضه مالَه، حيثُ قال الله له: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾. والضغث مشتق من: «ضغث».

وردَ في المعجم الوسيط عنه: «ضَغَثَ الحشيش، ضغثاً: جمعه وجعله ضِغْثاً. وضَغَثَ الأشياء: خلطَ بعضها ببعض. أمر الله أيوب عليه السلام أن يأخذَ هَذَا الغِصنَ الذي عليه مجموعة من الفروعِ والأوراقِ، وأنْ يضربَ به الشخص الذي حلفَ أن يضربه، وَذَلِكَ لئلَّا يحنث في يمينه: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْۗ﴾.

الأب: وكما قلنا عن المبهماتِ، أيضاً في قصّةِ اليمينِ والضربِ بالضغثِ مبهمات.

وهذا يدلُّ على أنَّ أيوب عليه السلام قد حلف أثناءَ مرضهِ وابتلائهِ أن يضربَ أحدَ الأشخاصِ بشيءٍ، لسبب ما. فلمَّا عافاهُ الله دعاهُ إلى أن يبرَّ بيمينهِ، وأنْ يضربَ الشخصَ المحلوفَ عليه بذلك الضغثِ من الشجرِ.

ولم تبيِّن الآية الشخص الذي حلف عليه، هل هو امرأته أم غيرها، كما لَمْ تبيِّن درجة قرابة هَذَا الشخص له، ولم تذكر السببَ الذي دعا أيّوب إلى أن يحلف أن يضربَه، ولا ماذا كانَ نصُّ يمينه، ولما حلّله الله من يمينه، ولَمْ تبيِّن الآية كيف ضربَ بذلكِ الضغث.

ولم ترِدْ أحاديث صحيحة عن رسولِ الله ﷺ، تبيِّن هذه المبهمات المتعلقةِ باليمينِ.

وبما أننا اتبعنا منهجاً لَا نذكر فيه إلَّا مَا ذكر في الأحاديثِ الصحيحةِ فنسكت عن معرفةِ السببِ.

وخلاصةُ الحادثة أنَّه حصلَ شيءٌ مَا بين أيوب عليه السلام وبين أحدِ الأشخاص، أثناء مرضه، فحلف أن يضرب ذلك الشخص، ولما عافاه الله من مرضه، أرشدَه الله إلى التحلّل من يمينه، فأمرهُ أن يأخذَ ضغثاً من الشجر عليه عدة فروع، وأن يضربَ الشخصَ به، وبذلك لَا يحنث في يمينه. ففعلَ أيّوبُ عليه السلام مَا أمره به الله!

وأثنى الله على أيوب عليه السلام بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص: الآية ٤٤].

وهذه ثمرةُ قصّةِ أيوب عليه السلام، حيثُ نالَ هذه الشهادةَ العظيمةَ من الله سبحانه.

أيوبُ عليه السلام إمامُ الصَّابرينَ على البلاءِ شهدَ الله له بأنه صابرٌ، وصبره مطلق، يشمل الصَّبرَ على كلِّ مَا ابتلاه الله به، صبرٌ على المحنة حتَّى مضت وانقضت، وأعقبها الفرجُ والرخاءُ.

وشهِدَ الله بأنه نِعمَ العبدُ، حيثُ حقَّق عبوديته لله، وزادَه الابتلاء خضوعاً واستسلاماً لله، ورضي بقدر الله، واحتساباً للأجر عند الله وإقبالاً على الله.

وشهدَ الله له بأنَّه أوّابُ، رجَّاعٌ إلى الله، حريصٌ على رضاه، كثيرُ الذِّكر له، تَضرّع إليه بأدبٍ، وسأله كشف الضرِّ بلطفٍ، لَمْ يبعده ابتلاء الله له بالضَّراء عن الله، بل زاده إقبالاً عليه واتصالاً به، ولمْ يبعده ابتلاءُ الله بعد ذلك بالسّراءِ عنِ الله، بل زادَه إقبالاً عليهِ وصلةً به.

صبرَ في حالة الضَّراء، لأنَّه أوَّاب. وشكر في السَّراء لأنَّه أوَّاب. وتبقى قصّة أيّوب عليه السلام كما أشارتْ لها الآياتُ في سورةِ ص والأنبياء، مَعْلَماً واضحاً من معالم الابتلاء، لأنَّه صارَ مضربَ المثلِ في الصَّبرِ والاحتساب، ثُمَّ في التضرُّعِ والدُّعاءِ، ثمّ في الفرجِ والرَّخاءِ(١).

الأولاد: المُهمّ أنَّ اللَّهَ سبحانه وتعالى نجَّى سيدَنا أيوبَ مِنَ الكَرْبِ الذي أصابَهُ.

الأب: لقد بشَّر اللَّهُ الصابرينَ ووعدَهم بالجنةِ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم﴾ [البقرة: الآية ١٥٥].

* * * * * *

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الرابع، ص٢٨ ـ ٣٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ذو الكفل واليسع وإلياس عليهم السلام

أكملَ **الأب** كلامه ومَدَحَ بعض الأنبياء، وسمَّاهم بأسمائِهم، وكرَّمهم لأنهم فقط من الصابرين. لَمْ يمدحْهُمْ لأنَّهم دَعَوا أَقْوَامَهُم بِطَرِيقَةٍ تختلِفُ عن طرق بقيَّةِ الأنبياءِ، ولكن لأنَّهم مِنَ الأَخْيارِ والصَّالحين والصابرين: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنبياء: الآيتان ٨٥ ـ ٨٦]، وقال: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ [ص: الآية ٤٨]. ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الصافات: ١٢٥] لقد مَدَحَهُم وذَكَرَ أسماءَهُم، ولكنَّهُ لَمْ يُعْلِمْنا ماذا فعلُوا إلَّا قَليلاً. أَعْلَمَنَا عَنْ سيدِنا إسماعيلَ الشَّيءَ القليلَ: ظروفَ وِلادتِهِ، وَحملَ أبيهِ له ولِأُمِّهِ إلى مَكَّة، وترْكَهُما في الوادي غيرِ ذي الزَّرعِ، وقِصَّةِ الذبْحِ، وقِصَّةِ بناءِ البَيْتِ الحرام. هَذَا كلُّ مَا أخبَرَنا إيَّاهُ الله ورسولُهُ عن هَذَا النَّبيِّ. وبالنِّسْبَةِ لسيدِنا إدريسَ علِمْنا أنَّه كانَ يُكثِر مِنَ الدَّرْسِ والقرَاءَةِ والأعمالِ الصالحة.

جميعُ الأخبارِ الباقيةِ التي قد نسمَعُها عنهم هي مِنَ اليهوديات التي لَا نجزم بثبوتِها كما لَا نملكُ تكذيبَها.

أما نبيّ اللَّهِ ذو الكِفل ففي الحقيقةِ أنا لَا أعلمُ عنه شيئاً.

الأم: قال تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنبياء: ٨٥].

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أثنى الله ﷻ على إسماعيل وإدريس وذي الكفل. أثنَى الله عليهم بأنَّهم صابرونَ، مرحومونَ، صالحونَ.

وهذا ثناءٌ من الله على ذي الكفل، وشهادةٌ من الله له بأنَّه صابرٌ، مرحومٌ، صالحٌ كباقي إخوانه الأنبياء.

قرنت الآيات ذا الكفل مع إسماعيلَ واليسع، وقدمتهما عليه وذكرت قبلهم إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ عليهم السلام.

وتقديمُ إسماعيل واليسع على ذي الكفلِ، قد يدلُّ على أنَّه كانَ بعدهما في الزمانِ، والله أعلم.

هذا مَا أورده القرآن عن ذي الكفل عليه السلام مع إسماعيل واليسع، حيثُ لَمْ يذكر قصته ولا أيّ شيء، واكتفى بإيرادِ اسمه ضمن أسماءَ أنبياءَ آخرين.

وإذا التقينا إلى مصدرنا الإسلاميِّ اليقينيِّ الثاني، وهو الحديث النبويّ الصحيح، فإننا لَا نجد حديثاً صحيحاً مرفوعاً، يتحدّث فيه رسول الله ﷺ.

إنَّ قصّة ذي الكفل عليه السلام منِ مبهماتِ القرآنِ، فلا نعرفُ من قصَّتهِ إلَّا اسمَهُ أو لقبَهُ لَا نعرفُ زمانَ بعثته، ولا تفاصيلَ حياته، ولا القومَ الذينَ بعثه الله إليهم، ولا المكانَ الذي كانَ يقيمُ فيه، ولا تفاصيلَ قصته معهم، وأحداث مَا جرى بينَه وبينَهم، ولا كيفَ كَانَتْ نهاية قصَّتهِ معهم.

هذه التفاصيلُ من المبهماتُ التي نبقيها على إبهامِها، ونوكلُ العلمَ بها إلى الله سبحانه. والله أعلم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نبيُّ اللَّه يونس عليه السلام

سامي: ألهذه الدرجة كَرَّمَ الله الصَّابرين؟

الأم: طبعاً أليسَ هو الهدفُ من وجودِ الإنسانِ؟

جميل: كيفَ هذا؟ لقد قلتِ لنا أنّ الهدف من خلقِ الإنسانِ هو عبادة الله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

الأم: بلى؛ هَذَا صحيحٌ، وعبادةُ الله تكونُ بمعرفتهِ سبحانه وتعالى وطاعتهِ، وإصلاحُ العلاقاتِ بين البشرِ، وهذا الإصلاحُ وهذه المعرفةُ، هل يَتِمّان بِسُرعةٍ؟ إذا زَرَع الإنسانُ زرْعاً، هل سيجِدُه ناسِياً في الحال؟ هل إذا أراد ترميمَ بيتٍ قديم مثلاً، أو بناء بيتٍ جديدٍ سينتهي العملُ بمجرد البدء به؟ ألا يحتاجُ هَذَا العمل إلى الصَّبر والاِحتمال؟

الأولاد: بلى؛ فعمليةُ البِناءِ والإصلاحِ صعبةٌ ولكنّ الخرابَ سهْلٌ جداً. ولكنْ هَذَا شيءٌ، والصبرُ الذي نقصُده شيءٌ آخر.

الأم: الصّبرُ لَا يتجزّأ، ولكنَّه يحتاجُ إلى التدرّب، فمَن يتعوّدُ أن يصبِرَ في الأمورِ الصَّغيرةِ، يصبِحُ الصّبرُ سجيةً له، يمارِسُه دون تعبٍ. وهذا مَا فعَله جميعُ الأنبياء حين كَانَتْ أقوامُهم تُكَذّبهم. أفلا تذكرونَ كَمْ صَبَرَ سيِّدنا نوحٌ على كفرِ قومه؟ لقدِ اِحتمل كفرَهم مئاتِ السِّنينَ حتَّى خلّصَهُ الله مِنهمْ؛ ونبيُّ اللَّهِ هودٌ، وصالح وغيرهم. جميعُ الأنبياءِ اِحتملوا الصَّبرَ في سبيلِ إيمانِ شعوبِهم بالله الواحدِ القهّار. وهذا مَا قاله نبيّ اللَّهِ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

شعيبٌ عندما كَفَرَ به قومُهُ وعَصَوْه وطلبوا منهُ الانتهاءَ عَنْ دعوته إيَّاهُم: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ [هُود: الآية ٨٨].

وإذا لَمْ يتعوَّدِ الإنسانُ الصَّبرَ، فإنَّ مصائِبَ الحياةِ ستتكاثرُ عليه، وتُرديهِ في المهالِك. فهو لَمْ يُخْلق لِلتَّنعُّم والسعادةِ، وإنَّما لِلابْتلاءِ، فكثيراً مَا يَتعرّض المرءُ للأمراضِ والخسائرِ في الأموالِ والأنفُسِ، وعليه أن يصبِرَ في كُلِّ أمورِهِ، فهو أوَّلاً وأخيراً لن يتمكنَ مِن ردِّ القَدَر ومحوِ المكتوبِ عليه، مهما فعلَ ومهما حاوَل. فإذا لَمْ يصبِرْ فإنه قد يصابُ بالجنونِ والإحباطِ واليأسِ.

الأب: إنَّكم تسمعونَ كثيراً بالبلادِ التي تصيبُها الزلازل والبراكينُ، كثير من أهل تلك البلاد يموتون أو يخسرون أملاكَهم أو أقاربَهم، ويبقى كثير. فكيف يعيش مَن نجوا من الزلزال أو البركان. هل يبكون؟ هل ينتحرون؟ هل يشكون؟ إنهم لو عاشوا بقية حياتهم في بكاء مستمرٍّ فلن يستفيدوا شيئاً. في هذه الحالِ عليهم بالصَّبرِ، ومحاولةِ نسيانِ مَا حَدَثَ، والتفكيرِ بما يجِبُ أن يفعلوا، لتستمرَّ حياتُهم بسعادةٍ واستقرارٍ.

سامي: ولكنَّ ذلك سيحتاجُ منهم جهوداً كبيرةً، وزمناً طويلاً.

الأب: إنَّ اللَّهَ سبحانَهُ وتعالى خلَقَ الخَلْقَ في ستَّةِ أيام. أفلمْ يكنْ قادراً على إيجادِ خلقِه في يوم واحدٍ؟ أو بكلمةِ (كنْ)؟ أَوَليس هو الذي يقولُ للشيءِ كنْ فيكونُ؟ ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: الآية ٨٢]. لقدِ ٱسْتمرَّت عمليةُ الخلقِ ستَّةَ أيامٍ ليُعَلِّمَنا الصَّبرَ والتَّأَنِّي والتَّدرُّج...

وبعدَ عرضِ الأمانةِ، وفتقِ السماوات والأرض ألم يقلْ للسماواتِ والأرضِ أن تكون طائعةً أم كارهةً قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت: الآية ١١].

أحمد: وهل خلْقُهُ لأبينا آدم دليلٌ آخر على تعليمنا الصبرَ والتأنِّي والتدرجَ؟

الأب: أجل؛ فلقدْ كانَ الله قادراً على أن يقولَ للتُّرابِ كنْ آدم فيكونُ آدم. ولكنَّه ذكرَ لنا أنّه تدرَّج في خلقِه له، من ترابٍ وماءٍ ثمَّ من طينٍ ثمَّ منْ صلصالٍ مِن حمأٍ مسنونٍ... كلُّ ذلك حتَّى يَتَعَلَّمَ الإنسانُ أنَّهُ لن يحصُلَ على مَا يُريدُ إلاَّ بالتَّعبِ والانتظار.

جميل: وماذا يحصلُ إذا لَمْ يستطِعِ الإنسانُ الصَّبرَ؟

الأم: في هذه الحالِ، فليحضِّر نفسه ليُصبِحَ صيداً سهلاً للشيطانِ،

فهوَ قد فتحَ جميعَ أبوابِ نفسه ليدخلَ الشيطانُ مِن أيِّها شاء.

جميل: أبوابُ نفسه؟ وما هي هذه الأبوابُ؟

وإذا وقعَ الإنسانُ في براثِنِ الشَّيطانِ فَلْيُبَشِّرْ نفسَهُ بِغَضَبِ اللَّهِ والخُلودِ في جَهَنَّمَ وبِئْسَ المِهاد، إلاَّ إذا ٱستطاعَ إنقاذَ نفسِه كما حَصَلَ لنبيِّ ٱللَّهِ يونُس عليه السلام.

جميل: نبيّ الله يونس؟ هل مَلَّ مِنَ الصَّبرِ؟ هل غضِبَ اللَّهُ عليه؟

الأم: لا، لَمْ يَمَلَّ مِنَ الصَّبرِ، ولكنَّ قومه أصرُّوا على الكفر به، فٱفْتَرَضَ أَنَّ رِسالَتَهُ قَدِ ٱنْتَهت عِندَ هَذَا الحدِّ، وأنَّ عذابَ اللَّهِ لا شَكَّ سَيَقَعُ عليهم، لأنَّهم رفضوا الإيمانَ وأصرّوا على الكُفر، فَتَرَكَهُم دونَ أن يأْذَنَ له اللَّهُ تعالى. وكان يَجِبُ عليه الانتظارُ حتَّى يأمُرَه اللَّهُ بالهجرةِ ـ كما حصل مَعَ أنبياءِ اللَّهِ هودٍ وصالحٍ ولوطٍ، ومِن قبلِهِم نبيّ اللَّهِ نوح، عليهم جميعاً سلامُ اللَّهِ ـ لهذا عَتَبَ اللَّهُ عليهِ.

سامي: يبدو أن قصَّةَ هَذَا النَّبيِّ جميلةٌ ومؤثِّرةٌ.

الأم: هذه القِصصُ لَا تُروى لِجمالِها، ولا لتحريكِ العواطِفِ الإنسانيةِ، ولكنْ لأخْذِ العِبرةِ والتَّعلُّمِ والتَّسلُّحِ ضِدَّ الشيطان.

تابعت أم أحمد: نبيُّ الله يونس عليه السلام هو يونُس بن متى، وهو ذو النُّون، وهو صاحبُ الحوت، ـ هكذا ذُكِرَ في القرآنِ الكريم ـ فَقَدْ وَرَدَ ذِكْرُه أربعَ مرَّات: مرَّتين بٱسمِهِ الحقيقي ومرّتين بِصِفَتِه. فَقَدْ جاءَ في القرآنِ الكريم: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يُونس: الآية ٩٨].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [الصَّافات: الآية ١٣٩].

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ [الأنبيَاء: الآية ٨٧].

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القَلَم: الآية ٤٨].

وبالرَّغْم مِن أنَّه تركَ قومَهُ لِقَدَرِهم، وَحَدَث معه مَا حدث، فَقَدْ نهانا رسولُ الله ﷺ عن النيلِ من منزلةِ يونسَ أو تفضيله عليه.. أخرج البُخاري في صحيحه عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنه عنِ النبي ﷺ: «**لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى**»[(١)]، وجاءَ في حديثٍ آخرَ: «**لا تفضِّلوا بين أنبياء الله**»[(٢)].

جميل: لماذا؟

الأم: لأنَّ محمّداً عليه الصلاة والسلام ناجى ربَّهُ مِن فوقِ سبعِ سمٰوات، ويونُس عليه الصلاة والسلام سبَّحَهُ في بطنِ الحوتِ، والمكانانَ لَمْ يطأهُما أحدٌ من قبلُ ولا من بَعدُ.

أحمد: قلتِ إنَّ ٱسمَه يونس بن متى. فهل يُنْسَبُ هَذَا النبيُّ إلى أمه؟

وكما قلنا ذكره الله ﷻ في سورةِ الأنعام ورد اسمه ضمن أسماء أنبياء آخرين، وكما ذكرنا حينما قال تعالى: ﴿من ذريته﴾ تعود على إبراهيم عليه السلام، وهذا معناه أن الأنبياء المذكورين بعدها هم من ذرية إبراهيم عليه السلام، ولهذا كانَ سيِّدنا إبراهيم عليه السلام هو أبو الأنبياء[(٣)].

الأم: لا، إنَّ نَسَبه إلى أبيه. وكل مَا نعرفه أنَّه يونس بن متى! أرسله الله سبحانه وتعالى إلى أهل نينوى على نهرِ دَجلة.

---

(١) البخاري عن ابن عباس (٣٣٩٥ ـ ٣٤١٣ ـ ٧٥٣٩)، وعن أبي هريرة (٣٤١٥ ـ ٣٤١٦)، ومسلم عن ابن عباس (٢٣٧٦)، وعن أبي هريرة (٢٣٧٧).

(٢) البخاري (٣٤١٤)، ومسلم (٢٣٧٣).

(٣) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الرابع، ص٣٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

جميل: هل ذَكَرَ الله سبحانه وتعالى أنَّه أرسله إلى أهلِ نينوى؟

الأم: لا، ولكنَّ علماءَ السيرةِ النبويةِ والحديثِ الشريفِ عرفوا ذلك من خِلال الحديث الذي دارَ بين رسولِ الله ﷺ وعدَّاس الذي كانَ عبداً عند أحدِ أثرياءِ الطّائف.

سامي: مَنْ هو عدَّاسٌ هذا، وما قصَّتُه مع رسولِ الله ﷺ؟

الأم: هو رجلٌ نصرانيٌّ كانَ عبداً عند عُتبة وشيبة ابني ربيعةَ، على بُعدِ ثلاثةِ أميالٍ مِنَ الطائف. فعندما عادَ رسولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الطائف حزيناً لِعَدَمِ تقبُّلِ أهلها لدعوَتِهِ، وإغرائهم سُفهاءَهم وصِبْيَتَهم بإيذائِهِ، جلس في ظل بستان لهما، وكانا يعرِفانِهِ، ولكنْ لَمْ يؤمنا بدعوتِهِ، فأرسلا إليه غلامَهما عدَّاس بقطف عنب. فلمَّا وضعه بين يديه مدَّ سيِّدنا محمد ﷺ يده إليه قائلاً: «**بِاسْمِ اللَّهِ**» ثم أَكَلَ. فقال عَدَّاسُ: إن أهل هذه البلادِ لَا يقولونَ هَذَا الكلامَ، فقال رسول الله ﷺ: «**مِنْ أيِّ البلادِ أنت؟ وما دينُك؟**» قال: أنا نصرانيٌّ، من أهل «نينوى». فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**من قريةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يونُسَ بنِ متى؟**» فقال عداس: أَوَ تعرِفُ نبيَّ اللَّهِ يونس؟ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**ذاكَ أخي، كانَ نبيّاً وأنا نبيّ**» فأكبَّ عدَّاسٌ على رأسِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ويدَيْهِ ورجلَيْه يُقَبِّلُهُما[1].

جميل: وأين تقعُ نينوى؟

الأم: إنها تقعُ في شمالِ العراقِ قُربَ الموصل. ولا نعرف شيئاً عن طُفولة هَذَا النّبي، إلاَّ مَا وَرَدَ في كلام مَن يأخذون بروايات أهل الكتاب. وبما أننا لن نستفيد شيئاً من هذه المعلومات، فسنَتْرُكُها ونتوقف في قبولها، ولا نقول بها، ونوكل العلم بها إلى الله.

تبدأ القِصَّةُ في القرآنِ الكريمِ بالتأكيدِ على رسالةِ يونسَ عليه السلام: ﴿وَإِنَّ

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، «سعي الرسول ﷺ إلى ثقيف بطلب النصرة»، قصة عداس النصراني معه ﷺ.

يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [الصَّافات: الآية ١٣٩]، إنّ يونس نبيٌّ كريم عليه السلام، وهو بشيرٌ ونذير، يبشر من استجاب له بالجنة. وينذر من كذّبه بالعذاب، ولا يتصرف في هَذَا من تلقاء نفسه، ولكنَّه يبلغهم وحي الله.

وهذا يعني أنَّ الله هو الذي طلبَ منه أن ينذرَهم بالعذاب، فبما أنَّهم لَمْ يستجيبوا له، ورفضوا دعوَته، وأصرّوا على الكفرِ، فلم يبقَ إلَّا وقوع العذابِ بهم.

أمرَ الله يونسَ عليه السلام أن يخبرَ قومَه أنَّ العذابَ سيقعُ بهم بَعْدَ ثلاثةِ أيامٍ، فأخبَرهم بذلكَ، وطلب منهم أن ينتظروا ذلكَ العذابَ.

وعجبوا من هَذَا الإنذار العنيف، وغضبُوا من يونس، ويبدوا أنَّهم كلَّموه كلاماً شديداً، فغضبَ يونس عليه السلام منهم، وردّ عليهم كلامَهم بكلامٍ آخر، وأغضبَهم، وبذلكَ انتهتِ الصِّلات بينَه وبينَهم.

عند ذلكَ غادرَ يونس عليه السلام قومَه، لأنَّه ظنَّ انتهاء مهمَّته عندَهم(١)، وأشارَ إلى ذلك قول الله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: الآية ٨٧]، ثمّ انتقلَ مباشَرَةً إلى ذِكرِ خروجه من عند قومِهِ إلى الفُلْكِ المشحون، أي: المملوءِ بالبضائعِ: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾﴾ [الصَّافات: الآية ١٤٠].

اللهُ سبحانه وتعالى شاءَ أن نتعلَّم فريضةَ الصَّبر على طاعةِ الله، والصَّبرِ على الأذى في سبيل الله، وتحريمِ الفرارِ من وجهِ الأعداءِ ـ الكافرين ـ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: الآية ٤٨]، والخطابُ هنا لرسولِ الله ﷺ، ولكلِّ مسلمٍ متذكِّرٍ من بعده، يدعو إلى الله، أن يتذكَّر قصَّةَ ذي النون عليه السلام، ليستخرجَ منها الدروسَ والدلالاتِ في الإيمانِ والدعوةِ والصَّبرِ واللجوءِ إلى الله.

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الرابع، ص٣٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لقد أخبرَ الله ﷻ «ذا النون» أنَّ العذابَ واقعٌ بهم بَعْدَ ثلاثةِ أيام، وهذا معناه في ظنِّه أنَّ الأمرَ قد انتهى. وأنَّهم لن يؤمنوا!! إذنْ لماذا يبقى عندَهم؟ عليهِ أنْ يذهب عنهم، وأن يبحثَ عنْ أناسٍ آخرينَ يبلِّغهم الدعوة(١)!

والله ﷻ يأمرُنا أنْ نصبرَ على أذى الأعداءِ، لأنَّنا مأمورينَ أنْ نأمر بالمعروف وننهى عنِ المنكرِ، لأجلِ ذلكَ أرسلَ الله الرُّسلِ لهدايةِ النَّاسِ إلى ربِّهم، ولكنَّ الهدايةَ هي بإذنِ الله تعالى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦﴾ [الأنفال: الآيتان ١٥ ـ ١٦].

كأنَّ الله سبحانه وتعالى يقولُ لرسوله محمّد ﷺ اصبرْ على ظلمِ قومكِ ولا تتركهم حتَّى آذنَ لك.

جميل: وماذا حدَث مع سيِّدنا يونسَ عليه السلام؟ وما هي العبرُ والدلالاتُ التي نستفيدُ منها؟

الأب: هناك إشكالاتٌ كثيرةٌ في تفسير هذه الآياتِ، لنْ نذكرها، ولكِنْ فقطْ سنذكر الصَّحيحَ المفترضَ أنْ نفهمَه من هذه الآياتِ. بَعْدَ أنْ خرج سيِّدنا يونس عليه السلام، نبيّ رسول، أمره الله بدعوةِ قومهِ، وهو لَا يهربُ من الدعوةِ، ولا يتخلّى عنها، إنَّما شبِّه فعله بفعلِ هروبِ العبد من سيِّده، وأطلقَ عليه أنَّه إباق، لأنَّه التقى مع إباقِ العبد، في الخروجِ سرّاً، والابتعادِ عنِ النَّاسِ، وبعد أنْ أنذرَ قومَه بوقوعِ العذابِ بَعْدَ ثلاثة أيامٍ، فلا داعي لأن يبقَى عندهم، وليبحثَ عن قومٍ آخرينَ يدعوهم إلى الله.

لقد ظَنَّ أنَّ الله لنْ يضيِّق عليهِ بإبقائهِ عند هؤلاء، بَعْدَ أنِ انتهتْ مهمّته فيهم، وسيوجِّهه إلى أناسٍ آخرينَ، ولذلك غادرهم سرّاً، وخرجَ من بينهِم وهمْ لَا يشعرون به، وتباعدَ عنهم.

---

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الرابع، ص٤٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وصفُ هَذَا الفعلَ منه بالإباق، لأنَّه يشابهُ إباقَ العبدِ في الظاهرِ، لكنه يخالفُه في الحقيقةِ، فذاك هروبٌ من الخدمةِ، وهذا انتقال إلى آخرين بدعوتهم[1]...

الجميع: إنا لله وإنا إليه راجعون.

الأب: غادرَ يونس عليه السلام قومَه بَعْدَ أنْ أنذَرهم العذابَ، باحثاً عن قومٍ آخرينَ يبلِّغهم الدعوة. ولكنَّه لَمْ يغادرهم بإذن من الله سبحانه.

وهذا هو سرُّ محنته عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، وسببُ لومِ الله له[2].

أحمد: وهل يعتبرُ هَذَا خلاف لما أمرَ الله به؟

الأب: لَمْ ينتظرْ يونس عليه السلام الإذنَ منَ الله وهو في قومه، هَذَا هو السبب، كانَ يجبُ أن يبقى في القرية إلى أن يأمره الله تعالى للذِّهابِ لقومٍ آخرينَ.

جميل: هلْ تقصُدَ أَنَّ معنى الآيةَ: ﴿لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أنَّ الله عز وجل لن يتركه في هذه القريةِ وسيرسله إلى قومٍ آخرينَ؟

الأب: هذا فعلاً هو المعنى، فَقَدْ ظَنَّ يونس عليه السلام هَذَا الأمرَ، وفي ظنّهِ واجتهادهِ أنَّه لَمْ تبق فائدة من بقائه في قومه، إنَّهم لَمْ يؤمنوا به، وإنّ العذابَ آتيهم بَعْدَ ثلاثةِ أيامٍ، لقد انتهى كلّ شيء بالنسبةِ لهم! فهل يبقى جالساً بينهم بدونِ دعوة؟

سامي: أينَ ذهبَ إذن؟

الأب: خرجَ من بينهم سرّاً، دون أن يعلموا به، وتوجَّه نحو البحرِ، وكلّه أمل ورجاء أن يأتيهِ التوجيه منَ الله في الطريقِ، أو فيما بعده، يأمره فيه بالخطوة التالية.

---

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الرابع، ص٤٢ ـ ٤٣ (بتصرف).
(٢) المرجع السابق، ص٤٥.

وهو في هَذَا الاجتهادِ لَمْ يكنْ مخطئاً عليه السلام، وإنما كانَ مجتهداً متأولاً، وكانَ حريصاً على الدعوة، راغباً في نصحِ الآخرينِ، وبما أنَّ قومَه رفضوا دعوته، وبما أنَّ العذاب واقع بهم، فلماذا يبقى بينهم، ذهبَ يبحث عن آخرينَ يدعوهم.

ولكنَّ الإذن يجبُ أن يكونَ من الله، وتوجيهه لمَا يفعل يجبُ أن يأذنَ به الله، وأن لَا يتعجَّلَ بالخروجِ إلى أنْ يوجهه الله بعده!

أحمد: مِمَّا فهمت هو نبيٌّ ورسولٌ يوحى إليه عن طريقِ جبريلَ عليه السلام، فكانَ يجبُ عليه أن ينتظرَ الوحي ليخبره بما يفعل، مثلما حدَث مع سيِّدنا لوط عليه السلام هل هَذَا هو قصدك؟

الأب: نعم، تركَ مَا هو أولى، ولأنه غادرَ قومهَ بدونِ توجيهٍ مِنَ الله، فَقَدْ عاتبهُ الله ولامه، ووصفَه بأنه آبق، وبأنه مليم، وأوقعَ به محنةً مريرةً.

جميل: يا الله! إنْ كانَ هو نبيّ مرسل فقط لأنَّه اجتهد من غيرِ توجيهٍ منَ الله حدَث له ذَلِكَ، فماذا يفعلُ من يعصِ الله ليلَ نهارٍ ومع ذلك يمهله الله ولا يفعل به مثلَما حدَث مع سيِّدنا يونس عليه السلام.

الأم: أحسنْتَ يا جميل، حالنا اليوم في عدمِ تطبيقِ منهجِ الله عز وجل، والسَّير على الصّراط المستقيم، نعيشُ بلطفٍ من الله عز وجل، فنِعمُ الله عز وجل لا زالت يمدها لكلٍّ من الطائع والعاصي كما قال تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ﴾ [الإسراء: الآية ٢٠].

الأب: ولكنَّ الله يمهلُ ولا يهملُ، ولا تنسي أنَّ أمة محمّدٍ عليه أفضلُ الصلاةِ والسلام لن يبتليها بالعذابِ مثل تلكَ الأقوام، وسنرى ذلك حينما نتحدَّث عن أشراطِ الساعة، فَقَدْ أخبَرنا رسولُ الله ﷺ عن إماراتها وما سيحدُث من عذابٍ ولكنْ ليس لجميعِ الأمة، بل من كثرَتْ بهم المعاصي والفتن.

الأم: «اللَّهمَّ إنا نعوذ بالله من الفتن مَا ظهرَ منها وما بطنَ».

الجميع: آمين يا ربَّ العالمين.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأب: وصلْنَا إلى أنَّ سيِّدنا يونس عليه السلام توجَّه إلى شاطئِ البحرِ، وهناك وجدَ سفينةً راسيةً تحملُ ركاباً، فصعدَ في السفينةِ، وتوجَّهت بركابها إلى عرضِ البحرِ، ووسطِ البحرِ لَمْ تتمكّنِ السفينةُ من متابعةِ السَّيرِ، بسببِ الحمولةِ الزائدةِ، ولا بدَّ أن يلْقىٰ براكبٍ من ركّابها في الماءِ لينجوَ الآخرون[1].

أحمد: هل أتلو الآياتِ التي تدلُّ على هَذَا المعنى؟

الأب: أحسنْتَ؛ تفضَّل يا أحمد.

أحمد: قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات: الآيات ١٣٩ ـ ١٤٤].

الأم: لا فضَّ فوك يا بنيّ وباركَ الله بك.

جميل وسامي: ونحنُ لَا يأتينا أيضاً مثلَ هَذَا الدعاءِ؟

الأم: بلى؛ لكم جميعاً باركَ الله بكم وجعلَكم من الذريةِ الصالحةِ.

الأب: نكملُ حتَّى لَا يفوتنا شرحُ المعاني لهذه الآياتِ، تابعَ الأبُ... لمَّا صعد يونس عليه السلام إلى السفينةِ كَانَتْ مشحونةً مملوءةً بالرّكابِ، وَكَانَتْ حمولتها زائدةٌ، وتوجَّهتْ نحو وسطِ البحر، وهناك واجهتْ مشكلاتٍ، وعجزَتْ عن متابعةِ السيرِ، وكادت تغرقُ.

ودعتِ الحاجةُ إلى التخفيفِ من حمولةِ السفينةِ، بإلقاءِ أحدِ ركابها في البحرِ، فلا مانعَ أن يهلك واحدٌ لينجوَ الآخرون.

ولكنْ منِ الذي يرضىٰ أن يضحّي بنفسه؟ وأن يلقيَ نفسه بإرادته واختياره.

---

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الرابع، ص٤٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

لا حلَّ إلَّا بالقرعةِ! أن يقترعَ ركابُ السفينةِ، فمن خرجتِ القرعةُ عليه فلا بدَّ أن يلقى في البحر!

واستهمَ الرُّكابُ على من يلقى من السفينةِ، واقترعوا فيما بينهم، وقدّر الله الحكيم أن يخرجَ سهم أفضلِ الرُّكابِ، يونس عليه السلام.

جميل: إذاً؛ هَذَا هو معنى الآية قال تعالى: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الصافات: الآية ١٤١].

الأب: نعم أي: كتبوا أسماءَهم على أخشابٍ ورموها فجاءَ اسم يونس عليه السلام، ولمعرفةِ أصحابِ السفينةِ يونس عليه السلام، وأنه أفضلَهم، أعادوا القرعةَ والمساهمةَ مرّة ثانية، فأيضاً فرض سهمُ يونس عليه السلام.

سامي: ما معنى مدحضِينَ.

الأب: معناها إنه هو الملقى من السفينةِ.

وهكذا بدأتْ محنةُ يونس عليه السلام، بتقديرٍ منَ الله الحكيمِ سبحانه. وألقيَ من السفينةَ إلى البحرَ...

الجميع: لا إلٰه إلا الله، لَا إلٰه إلا الله...

الأب: إنَّ الله رحيمٌ بيونس عليه السلام، حتَّى في ابتلائه، وهو يريدُ أنْ يبتليه لَا أن يقضيَ عليه، ولهذا يسَّر، قال تعالى: ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾ [الصافات: الآية ١٤٢]، وهذا من حِكمةِ الله ولطف تدبيره، فَقَدْ أمرَ الحوتَ أن يتوجَّه نحو السفينةِ، وأن يفتح فمه، وبمجردِ أن يلقى يونس منها، وفورَ وصولهِ للماءِ عليه أن يلتقمه، لئّلا يسبقَ إليه حوتٌ آخر، لَا يعرف من هو، فيجعله وجبةً غذائيةً له!!

والحوتُ جنديٌّ من جنودِ الله، وما يعلَمُ جنودَ ربِّكَ إلَّا هو، فسارعَ بتنفيذِ أمرِ الله!

أمرَ الله الحوتَ أن يلتقِمَ يونسَ التقاماً، وأن يبتلِعَه ابتلاعاً، فنفذَ

أمرَ الله، ولذلك لَمْ يطبقْ على فكَّيه، ولم يغرزْ فيه أنيابَه، ولم يمضغْه بفمه! ولم يكنْ فمه إلَّا طريقاً يمرّ به يونس عليه السلام ليستقرَّ في بطنه! هَذَا هو المعنى المصوّر الذي يوحيه فعل: «فالتقمه الحوتُ».

ولما استقرَّ يونس عليه السلام في بطن الحوتِ، أجرى الله له معجزةً أخرى، حيثُ أمرَ الجهازَ الهضميَّ للحوتِ أن لَا يهضمَ يونس، وأن لَا يفرزَ العصاراتِ الهاضمةِ عليه.

فهذا الوافدُ إلى المعدة ليسَ وجبةً غذائيةً، وهو لَا يصلحْ للهضم، وما هو إلَّا مقيمٌ في المعدةِ إقامةً يسيرةً ليغادرَها بَعْدَ ذَلِكَ، وهذه المعدَةَ أشبه مَا تكون بقاربِ إنقاذٍ لإنقاذه، ولا يجوزُ لها أن تهضمَه.

وتلقَّتْ معدةُ الحوتِ أمرَ الله راضيةً، ونفذَته، فلم تفرزْ على يونس عصارتِها الهاضمة، وبقيَ يونس حياً بها[1].

سامي: ظلّ حياً لَمْ يمت! وكيف يتنفَّسُ وهو في بطنِ الحوتِ؟ هل هناكَ هواءٌ في بطنِ الحوت ليتنفَّسَ؟

الأب: لا يمكنُ أن نتصوَّر ذلك بحساباتنا، ولكنَّ الله فعَّال لما يريدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ... وهذا الأمرُ كلّه معجزة خارقة، يعجزُ عنها البشر ولكنَّها مفهومةٌ لأنَّها من فعلِ الله.

جميل: لكنْ مَا معنى قول الله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾.

الأب: أي: أمرَ الله الحوتَ أن يلتقمَ يونس عليه السلام، ويجعلَه في بطنه، لأنَّه مليمٌ، فعلَ مَا يستحقُّ أن يلامَ عليه، ومن لومِ الله له أن أوقعَ به هَذَا البلاء.

أحمد: بسببِ مغادرتِه لقومهِ دونَ إذنٍ منَ الله، ومن غيرِ توجيهٍ منَ الله، أليس كذلك؟

---

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الرابع، ص٥١.

الأب: نعم؛ ولكنْ حتَّى نعرف أنّ كونه مليماً مستحقّاً للَّوم، ليس معناه أنَّه مخطىءٌ أو مذنبٌ فيما فعلَ، فما فعله صوابٌ صحيحٌ كما قلنا، ولامه الله لأنَّه تركَ مَا هو أولى، والأصلُ في النبيِّ أن يفعلَ دائماً مَا هو أولىٰ، فإن فعلَ خلاف الأولى باجتهاده، فإنَّ الله يعاتبُهُ وينصحُهُ ويرشدُهُ، وَقَدْ يلومُهُ كما فعلَ مع يونس عليه السلام[1].

استقرَّ يونس عليه السلام في بطن الحوت، وصارَ الحوتُ يتحرَّكُ تحتَ الماءِ، وينتقلُ من مكانٍ إلى آخر، وكأنَّه «غواصةٌ» تحملُ يونسَ بأمانٍ، وتقيه الأخطارَ والأهوالَ[2]!

الجميع: تكبير... الله أكبرُ ولله الحمدُ.

سامي: ماذا فعلَ يونسُ عليه السلام؟

جميل: لا يمكنه أن يستنجدَ بأحدٍ من البَشر.

أحمد: هو في بطنِ الحوتِ وفي البحرِ بِمنْ سيستنجدُ؟

سامي: سيدعو الله عز وجل.

جميل: أكيد؛ سيستغيث بالله، ولكنْ هو في بطن الحوتِ أتخيّلُ هَذَا المنظر، كيفَ جلسَ في بطنه. وأينَ سيجلسُ؟

الأب: فعلاً؛ كلّ مَا تقولونه صحيحٌ، المخلوقاتُ جميعها يعجزون عن إغاثةِ يونس عليه السلام، بالأصلِ منْ سيسمَعه؟ وهو في بطنِ أي حوتٍ؟ هل معروفٌ الحوت الذي ابتلَعه؟ لَا يمكنُ أن ينقذَ سيِّدنا يونس عليه السلام.

سامي: إذنْ مَاذا فعل؟

أحمد: اصبرْ، سترى مَا سيفعل فأنا أعرفُ ذلك.

---

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الرابع، ص٥٢.

(٢) المرجع السابق، ص٥٢ ـ ٥٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأب: أخبرْنا إذن.

أحمد: أنا فقط سأتلو الآيات وأتركَ لكَ الشرحَ يا أبتِ. قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات: الآيتان ١٤٣ ـ ١٤٤].

الأب: أحسنتَ؛ بارك الله بك. الآيات في سورةِ الصافات تخبرُنا هَذَا اللجوءَ الإيمانيَّ إلى الله، وجعلته معلّماً هادياً وأسوةً حسنة للمؤمنينَ بَعْدَ يونس عليه السلام، يقتدون به عندما يمرّون بضيقٍ أو محنةٍ أو غمٍّ أو كربٍ[1].

أحمد: هل هناكَ حديث يدلُّ على ذلك؟

الأم: نعم؛ فَقَدْ قالَ رسولُ الله ﷺ: «**دعوةُ ذي النون إذ دعَا وهوَ في بطنِ الحوتِ لاَ إلٰه إلاَّ أنتَ سبحانك إنِّي كنتُ من الظالمينَ، إنَّه لَمْ يدعُ بها مسلمٌ في شيءٍ قط إلاَّ استجابَ الله له بها**»[2].

الأب: وهذا مَا فعلَه سيِّدنا يونس عليه السلام، لولا أنَّ يونس كانَ مسبِّحاً لله، لبقيَ في بطنِ الحوتِ إلى يومِ القيامةِ، أي: سيأمرُ الله معدةَ الحوتِ أن تفرزَ على يونس عصاراتها الهاضمة، وأن تحوله إلى وجبة غذائية.

إنّ تسبيحَ الله سببٌ، قدّر الله أن ينجيَه من أجلِه، ولو لَمْ يتحقَّقْ هَذَا السببُ لما كتبَ ليونسَ النجاةَ.

الأم: يونسُ عليه السلام بالأصل كانَ مسبّحاً قبلَ ذَلِكَ، فهي صفةٌ دائمةٌ، ملازمةٌ، وهذا معناه أنَّه كانَ مسبحاً لله عندما كانَ وسطَ قومهِ، يدعوهم إلى الله، وكانَ مسبّحاً لله لما استقرَّ في بطن الحوت.

الأب: نعم؛ عَرَفَ الله في الرَّخاءِ، فعرفَه الله في الشِّدة، وذكرَ الله في الرَّخاءِ، فنفعَه هَذَا عند الشدّةِ، وفرّجها الله عنه بسبب ذلك.

---

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الرابع، ص٥٣.

(٢) رواه أحمد في المسند والحاكم في المستدرك وغيرهما وصححه الألباني.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أحمد: إذن يجبُ أن نسبِّحَ الله ﷻ في الرَّخاءِ دوماً، كما تعوَّدنا منكما، ونحرصُ على الإكثارِ من الأذكار.

جميل: إذن يرحمنا الله ﷻ عند الشِّدةِ والمحنةِ.

الأب: نعم، فهذه سنةٌ كونيةٌ، من كانَ مسبِّحاً في الرّخاءِ، ينفعه التسبيحُ في الشدة ويفرجّها الله عنه لهذا السبب.

الأم: وبعدما سبّح يونس عليه السلام ربَّه وهو في بطنِ الحوتِ، وتضرَّع إلى الله واستغاثه. قال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: الآيتان ٨٧ ـ ٨٨].

الأب: وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: الآية ٦٢]، وهذا مَا حدث مع أيوب عليه السلام، كما تكلَّمنا سابقاً عن قصته حينما قال: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: الآيتان ٨٣ ـ ٨٤].

الأم: كلا النبيِّين الكريميْنِ عليهما السلام ابتلاهما الله بالضرّ، وكلاهما نادا ربّهما ودعاه واستغاثا به، وكلاهما خَاطبا الله بأدب ولطف ورقة، وكلاهما كانَ نداؤهما وتضرعهما مجملاً بدون تفصيل، وكلاهما استجاب الله لهما فور ندائه ودعائه، فكشف عنهما الضر، ونجّاهما من الغم. وكلاهما قدوة للمؤمنين، يقتدون بهما في اللجوء إلى الله ودعائه، والأدب واللطف في طلب الفرج منه!

أحمد: ولكنْ يجبُ أن نشرحَ الدعاءَ، حتَّى يتيسَّرَ فهمه لجميل وسامي.

الأب: معكَ حق فإنَّ الدعاء بحدِّ ذاتهِ هو إعلان التوحيد لله ﷻ، فما هي كلمة التوحيد (موجهاً السؤال إلى سامي وجميل)؟

جميل: هي أشهد أن لَا إلٰه إلاَّ الله.

سامي: هي لَا إلٰه إلاَّ الله.

الأب: إذن أولُ الأمرِ هو أنه أعلنَ التوحيدَ لله وأكَّد عليه أنه ربّ العالمين.

وبعدها بدء الاستغاثة لله وحدَه لَا شريكَ له.

الأم: جميعُ الأنبياءِ جاؤوا للدَّعوةِ إلى لَا إلٰه إلا الله؛ وحتى نتعرّف على معناها هنا في قصّة يونس عليه السلام، هي ليست كلمة تقال فقط وقت الشدّة، بل هو كانَ يعيش حقيقة أنَّه لَا إلٰه إلاَّ الله، وأن الله وحده هو من يمده بالقوة وأنَّ الله هو من يمدّه بالنفعِ والضرِّ والتأييدِ، فهذا مَا تعلمناه من معاني ربّ العالمين عاشها في حياته اليومية، أدرك أنَّه لَا نافعَ ولا ضارَّ ولا ناصرَ ولا مؤيّدَ إلَّا ربّ العالمين. ولهذا نطق بها لسانه، وهو يستحضرها في قلبه ويعيشها بكيانه.

جميل: طيب؛ هل عرف سيِّدنا يونس أنّ الله عتب عليه لأنَّه خرج من غير إذنه؟

الأب: نعم؛ أدركَ يونس عليه السلام وهو في بطنِ الحوتِ، أنه تسرّعَ بالخروجِ من قومه قبل توجيهِ الله له، وأنَّ الله عتبَ عليه ولامه من أجلِ ذَلِكَ، وقدَّرَ أن يوقعَ به هَذَا البلاءَ، ويمتحنه بهذه المحنةِ.

ولمَّا أدركَ ذلك انطلقَ لسانه بالاعترافِ بأنه كانَ ظالماً في فعله وتصرُّفهِ وخروجهِ، وطلبَ من الله أن يتجاوزَ عن ظلمهَ، فيسامحه ويفرِّجَ كربه.

ولا يرادُ بوصفِ يونس بالظلمِ هنا حقيقةَ الظلمِ، لأنَّه نبيٌّ كريمٌ عليه

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الصلاة والسلام، والأنبياءُ معصومون، يعصمهمُ الله من الوقوعِ فِي الظلمِ والفسقِ والذنبِ والعصيانِ[1].

الأم: والله أعلمُ؛ وصفَ يونس عليه السلام بالظلم لشعورهِ بالتقصيرِ في حقِّ الله، وحيائهِ من الله، وطلبِ تفريج الغمِّ والكربِ والضيقِ.

ولـمَّا نادى يونس عليه السلام ربّه ودعاه وتضرَّعَ إليه، سمعَ الله دعاءَه واستجابَ له ونجّاه من الغمِّ: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾.

الجميع: سبحانَ اللهِ وبحمدهِ سبحانَ الله العظيمِ، سبحانَ الله وبحمدهِ عددَ خلقهِ وزنةَ عرشهِ ومَدَادَ كلماتهِ[2].

الأب: الله سميعٌ وسع سمعه الأصوات كلها، ولهذا سمع نداء يونس عليه السلام وهو في بطنِ الحوتِ. والله بصيرٌ أحاطَ بصره بالمرئياتِ كلِّها، ولهذا رأى يونس وهو في بطنِ الحوتِ، والله عالمٌ بكلِّ شيءٍ، فعلِمَ أحوالَ يونس وهو في بطنِ الحوتِ. إنه لَا يوجدُ مَا هو بعيدٌ عَنِ الله، فكلُّ شيءٍ عند الله قريب، فمن كانَ عندَ الله في السَّماءِ السابعةِ من الملائكةِ فهو قريب منه، ومن كانَ على وجهِ الأرضِ منَ البشرِ فهو قريب منَ الله، ومن كانَ في أعماقِ البحرِ فهو قريب منَ الله. وسعَ الله الجميعَ بعلمِهِ وسمعهِ وبصرهِ[3]...

---

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الرابع، ص٥٦ ـ ٥٧.

(٢) رواه مسلم واللفظ له في كتاب الذكر: باب التسبيح أول النهار وعند النوم، رقم الحديث... عن جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال: «**ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟**» قالت: نعم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**لقد قلت بعدك أربع كلمات وثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته**».

(٣) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الرابع، ص٥٦ ـ ٥٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أحمد: سبحانَ الله هَذَا هو درسُ التوحيد، توحيدُ الله بأسمائه وصفاتهِ، لذا نجدُ في القَصَصِ القرآنيِّ، وخاصةً دعوةُ الأنبياءِ لأقوامِهم، الإيمانُ بالله تعالى ووحدانيتهِ منَ الإيمانِ بأنه تعالى متَّصفٌ بكلِّ كَمالٍ يليقُ بذاتهِ الكريمةِ، منزّهٌ عن كلِّ نقصٍ، فما من صفةٍ من صفاتِ الله تعالى إلَّا ولها صفاتُ الكمالِ المطلقِ، فوق مَا تتصوّره عقولنا المحدودة، وأعلى مما تتحمّله قوالبُ اللغةِ المحصورةِ، فهو كمالٌ مطلقٌ لَا يمكنُ إخضاعه لمقياس ممَّا يعرفه البشر. سبحان الخلَّاق العظيم، دلَّت عليه جميع مَا في هَذَا الكونِ البديعِ، وما فيه من إحكامٍ عجيبٍ، حوتٌ يبتلع بشراً ولكنّ لَا يجعله طعاماً له، بل مركباً ينقله من مكان إلى مكان، وهو سبحانه العليم قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: الآية ١٩]، وقال الله ﷻ في سورةِ البقرة: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: الآية ٢٩].

فهذه المخلوقات وما فيها من إحكامٍ وإتقانٍ تستلزمُ علمُ موجدِها، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: الآية ١٤]، سبحان الخلّاق العظيم[1]...

الأم: ما شاءَ الله لَا قوَّة إلَّا بالله! من أينَ درستَ هذه المعلوماتِ يا أحمد؟

أحمد: من أستاذِ التربيةِ الإسلاميةِ حينما كنّا نناقشُ في أوقاتِ فراغنا مَا درسناه سويّاً عن القَصصِ القرآنيّ يزيدُ لنا الشّرح عن أسماءِ الله ﷻ وصفاتِ الكمال لله ﷻ، وها أنا أدرسها معكمْ، فَقَدْ تحدَّثَ والدي عن صفاتٍ لله ﷻ؛ ألا وهي صفةُ السمعِ والبصرِ والعلمِ، فأستعدتُ ذاكرتي

(١) مكي، مجد، البيان في أركان الإيمان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م ١٤١٩هـ، ص ٧٥ ـ ٧٧ (بتصرف).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بمَا قاله الأستاذُ، وهذا من فضلِ ربِّي، ولمنْ علَّمني، أنتما، وأستاذِي.

الأب: فعلاً، إنَّ القصصَ القرآنيّ يدلّنا على قدرةِ الخالق ﷻ ومعجزاتهِ، وخاصةً مع أنبيائهِ ورسلهِ، من أمرهم بتبليغِ الرسالة، ومنهم يونس عليه السلام.

سامي: لا أريدُ مزيداً من هَذَا الحديث؛ أريد فقط معرفةَ مَا حدَث مع سيِّدنا يونس عليه السلام.

ابتسمَ الجميعُ لعلمهم أنَّ سامي لَا زالَ صغيراً لمعرفةِ هذه العلومِ.

الجميع: أبشرْ أبشرْ ستعرفُ نهايةَ القصّةِ.

الأب: كانَ يونس عليه السلام مغموماً يغشاه الحزنَ والغمَّ، وكان مكظوماً مملوءاً كرباً وهمّاً وغماً، فاستجاب الله له وتداركه برحمته، وأوقع عليه نعمته فأزال عنه الغمَّ والكربَ ونجَّاه من المحنة.

وهناكَ أحاديثٌ كثيرةٌ غيرَ الذي ذكرتْهُ والدتِكم[1].

---

(١) **الأحاديث الصحيحة الواردة في قصة يونس** عليه السلام:

أخرج البخاري من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا يقولن أحدكم إني خير من يونس**» زاد مسدد «يونس بن متى»[1].

* عن أبي العالية قال: حدثني ابن عم نبيكم ﷺ (يعني ابن عباس) عن النبي ﷺ قال: «**ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى**». ونسبه إلى أبيه[2].

* من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بينما يهودي يعرض سلعته أعطي بها شيئاً كرهه، فقال: لا والذي اصطفى موسى على البشر، فسمعه رجل من الأنصار فقام فلطم وجهه وقال: تقول والذي اصطفى موسى على البشر والنبي ﷺ بين أظهرنا؟ فذهب

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ حديث رقم (٣٤١٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ حديث رقم (٣٤١٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

. . . . . .

= إليه فقال: أبا القاسم إن لي ذمة وعهداً، فما بال فلان لطم وجهي؟ فقال: «**لم لطمت وجهه؟**» فذكره، فغضب النبي ﷺ حتى رؤي في وجهه، ثم قال: «**لا تفضلوا بين أولياء الله، فإنه ينفخ في الصور، فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى، فأكون أول من بعث، فإذا موسى آخذ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور، أم بعث قبلي، ولا أقول إن أحداً أفضل من يونس ابن متى**»(١).

* من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**ألا أخبركم بشيء إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من أمر الدنيا دعا به ففرج عنه؟ دعاء ذي النون: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**»(٢).

* من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إن يونس عليه السلام كان وعد قومه العذاب وأخبرهم أنه يأتيهم إلى ثلاثة أيام، فتفرقوا بين كل والدة وولدها، ثمّ خرجوا فجأروا إلى الله واستغفروه فكف الله عنهم العذاب، وغدا يونس عليه السلام ينتظر العذاب فلم ير شيئاً، وكان من كذب ولم يكن له بينة قتل فانطلق مغاضباً، حتى أتى قوماً في سفينة فحملوه وعرفوه، فلما دخل السفينة ركدت، والسفن تسير يميناً وشمالاً، فقال: ما بال سفينتكم، قالوا: ما ندري. قال: ولكني أدري إن فيها عبداً أبق من ربه وإنها والله لا تسير حتى تلقوه، قالوا: أما أنت والله يا نبي الله فلا نلقيك، فقال لهم يونس عليه السلام: اقترعوا فمن قرع فليقع فاقترعوا فقرعهم يونس عليه السلام ثلاث مرار، فوقع وقد وكل به الحوت، فلما وقع ابتلعه فأهوى به إلى قرار الأرض فسمع يونس عليه السلام تسبيح الحصى ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ٨٧] قال: ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل، قال: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ قال: كهيئة الفرخ الممعوط الذي ليس عليه ريش، وأنبت الله عليه شجرة من يقطين، فكان يستظل بها أو يصيب منها، فيبست، فبكى عليها حين يبست، فأوحى الله إليه أتبكي على شجرة أن يبست ولا تبكي على مائة ألف أو يزيدون أردت أن تهلكهم، فخرج فإذا هو بغلام يرعى غنماً فقال: ممن أنت يا غلام؟ قال: من قوم يونس، قال: فإذا رجعت إليهم فأقرئهم السلام وأخبرهم أنك لقيت يونس. فقال الغلام: إن تكن يونس فقد تعلم أنه من كذب ولم يكن له بينة قتل. فمن يشهد لي، قال: تشهد لك هذه الشجرة وهذه البقعة. فقال الغلام ليونس: =

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ حديث رقم (٣٤١٤، ٣٤١٥، ٣٤١٦).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، حديث رقم (٣٥٠٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يتابع الأب سرد القصة: نادى يونس ربَّه وهو في بطنِ الحوتِ، ولولا أن تداركَه الله برحمتهِ ونعمتهِ لكانَ مذموماً مطروداً، فأنعمَ عليه بنعمته، وخلَّصه من محنتهِ فأمرَ الحوتَ أن يتوجَّه به نحو شاطئِ البحرِ، ففعلَ، ثمَّ أمرَه أن يخرجَه من بطنهِ، ويلقيَهِ على الشاطئِ، ففعل. فما هو إلَّا جنديٌّ منفِّذ لأوامرِ الله.

وقد أشارَ القرآنُ إلى مَا جرى على شاطئِ البحرِ، وإلى إنعام الله عليه وإكرامهِ له. قال تعالى: ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾﴾ [الصافات: ١٤٥ ـ ١٤٦]، والعراء: الأرضُ الفضاء، التي لَا شجرَ ولا نباتَ ولا بناءَ عليها. وهي صفةٌ لشاطئِ البحرِ، الذي يكونُ غالباً رملياً، لَا ينبت عليه نباتٌ ولا شجرٌ.

وَقَفَ الحوتُ على شاطئِ البحرِ بأمرِ اللهِ، وأخرجَ يونس بأمرِ الله، وألقاه على الشاطئ بأمر الله، وعادَ إلى مياهِ البحرِ بأمرِ الله.

وبهذا انتهتْ محنةُ يونسَ في البحرِ وفي بطنِ الحوتِ، بأمرِ الله، وخرجَ منها بأمانٍ، برعايةِ وتدبيرِ الله.

= مرهما، فقال لهما يونس عليه السلام: إذا جاءكما هذا الغلام فاشهدا له، قالتا: نعم. فرجع الغلام إلى قومه، وكان له أخوة، فكان في منعه فأتى الملك فقال: إني لقيت يونس وهو يقرأ عليكم السلام، فأمر به الملك أن يقتل، فقال: إن له بينة، فأرسل معه فانتهوا إلى الشجرة والبقعة، فقال لهما الغلام: نشدتكما بالله هل أشهدكما يونس، قالتا: نعم، فرجع القوم مذعورين يقولون: تشهد لك الشجرة والأرض فأتوا الملك فحدثوه بما رأوا، فتناول الملك يد الغلام فأجلسه في مجلسه، وقال: أنت أحق بهذا المكان مني، وأقام لهم أمرهم ذلك الغلام أربعين سنة»[1].

---

(١) عزاه في الدر المنثور (٢٨٨/٥) لابن شيبة في المصنف وأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.
وصحح الحافظ ابن حجر في الفتح (٤٥٢/٦) إسناد ابن أبي حاتم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

جميل: هكذا انتهتِ القصَّة؟

سامي: حينما كانَ في بطن الحوت لَمْ يأكلْ ولم يشربْ كيف كَانَتْ حاله؟

الأب: نعم؛ مرضَ يونس عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ [الصافات: الآية ١٤٥]، والسقيم هو المريض. مثلما قال سامي، تخيَّل معنا منظرَ إنسانٍ عاشَ في بطنِ الحوتِ ساعات أو أياماً ـ وجوّ بطنِ الحوتِ معروفٌ بحرارته ـ كيف سيكون بدنه، بالإضافة إلى أنَّه بلا طعامٍ ولا شرابٍ، كيف سيكون حاله حين خروجهِ.

لا شكَّ أنَّه سيكونُ سقيماً مريضاً في جسمهِ، وسقيماً في جلده، الذي سيكون أشبه بالمسلوقِ المسلوخ، وإذا كان الله قد أنقذَه من أخطارِ البحرِ، عندما سخَّر له الحوتَ فإنه سينقذَهُ من أخطارِ البرِّ!

إنَّ شاطئَ البحر موبوءٌ بالميكروباتِ والجراثيم وأنَّ يونس سقيمٌ مريضٌ ضعيفُ البدنِ، مسلوخُ الجلد، فهو عرضة لَلإصابة بالأمراض والآفات، الشمس الحارة على الشاطئ ستؤذي جسمه المسلوخ، والذباب والبعوض سيتكاثر على لحمه المقروح!

والله حكيمٌ لطيفٌ رحيمٌ، سيرحمُ عبدَه يونس على الشاطئ، وييسِّر له وسيلةً خارقةً معجزةً، ليتجاوزَ بها تلك الأخطارِ.

أحمد: قال تعالى: ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾﴾ [الصافات: الآية ١٤٦] هَذَا مَا تقصدْ، وهل هو اليقطين الذي والدتي تقوم بطهيه لنا؟

الأب: نعم؛ اليقطينُ هو القرعُ المعروفُ. فهو يسمَّى يقطيناً، ويسمَّى قرعاً، ويسمَّى دباء.

إنَّها ثلاثةُ أسماءٍ لنباتٍ واحدٍ، خصائصُه النباتيةُ واحدةٌ، ولكنْ هناك اختلافٌ في ثمرهِ، فالدباءُ والقرعُ واحدٌ. وثمره معروفٌ يكادُ يشبه الشَّمام والبطيخ الصغير. أما اليقطينُ فثمره قريبٌ من الكوسا.

واعتبرتِ الآيةُ اليقطينَ شجرة، مع أنَّه نباتٌ على وجه الأرضِ لَا ساقَ له.

وذهبَ بعضهم إلى أنَّ كلَّ نبات على وجه الأرض يسمّى يقطيناً، كالشَّمامِ والبطيخِ، ولكن هَذَا مرجوح، فالراجحُ هو أنَّ اليقطينَ هو النبات المعروفَ فقط.

كانَ إنباتُ شجرةِ اليقطينِ على يونس عليه السلام معجزة من معجزاتِ الله، ليحميه من حرّ الشمسِ وميكروباتِ البعوضِ والذبابِ، وليمنحه الظلَّ الوارف.

لم يكنْ إنباتُ اليقطين عليه بطريقةٍ عاديةٍ، ولم تمرْ بمراحل «دورتها الزِّراعية» المعروفة، فلو كانَ الأمر كذلك لضاعتِ الفائدة منها.

جميل: درسنا في مادة العلوم، أنّ دورةَ زراعةِ اليقطينِ تحتاجُ البذرة فيها إلى أيَّامٍ تحتَ الأرضِ لتنبت، ثمّ أسابيعَ لتمتد، وإلى أسابيع أخرى لتكبرَ.

الأب: نعم؛ وعلى هذه الحالةِ ستفتكُ بيونس عليه السلام ـ الملقى على الشاطئ مسلوخ الجلد سقيم البدن الأمراض ـ.

هنا كَانَتْ المعجزة، كانَ إنباتُ شجرةِ اليقطينِ على يونس في لحظاتٍ أو ساعاتٍ، هي معجزة من معجزاتِ الله الباهرات!

أمرَ الله بذرة اليقطينِ في باطنِ الأرضَ فتنبت، وأمرها فظهرت على وجه الأرض، وأمرها أن تمد ساقها على وجه الأرض ففعلت، وأمرها أن

تخرجَ أوراقها الكبيرة العريضة ففعلتْ، وأمرها أن ترتفع على ساقها عن وجه الأرض وكأنها معروشة ففعلت، وأمرها أن تتوجَّه إلى يونس السقيم، وأن تظلِّلَ عليه بأوراقِها الكبيرة، وأن تحيط به بحنانٍ ورعايةٍ ففعلتْ. وسبحانَ الله القادرُ على كلِّ شيءٍ، الفعالُ لما يريد.

وكما كانَ الحوتُ في البحر جنديّاً من جنودِ الله، ساقَه الله لحماية يونس في بطنِه، كذلك شجرةُ اليقطينِ جنديٌّ من جنودِ ربِّك، سخَّرها الله لحماية يونس على شاطئِ البحرِ، وما يعلمُ جنودَ ربِّك إلَّا هو[1].

الأم: والأهمُّ من ذلكَ أنَّ شجرةَ اليقطينِ لها فوائد، منها:

سرعةُ نباته، وتظليلُ ورقه لكبره، ونعومته، وأنه لَا يقربها الذباب، وجودة تغذية ثمره، وأنه يؤكل نيئاً ومطبوخاً، وقشره أيضاً.

وقد ثبتَ أنَّ رسول الله ﷺ كانَ يحبُّ الدباء، ويتتبعه من نواحي الصحفة»[2].

وبقي يونس عليه السلام تحت شجرة اليقطين، مستروحاً ظلَّها الظليل، متلذذاً بأوراقها الناعمةِ، مستمتعاً بالحمايةِ التي توفرها أوراقها له، بقي هكذا حتَّى زالَ سقمُه، وعوفيَ من مرضِه.

وهكذا انتهتِ المحنةُ التي امتحنَ الله يونس عليه السلام بها، وخرجَ منها آمناً سليماً معافىً، كما خرجَ من محنةِ البحر، وزادَ يونس إقبالاً على الله، وحمداً له، واعترافاً بفضله عليه ورعايته له[3].

الأب: والأهمُّ من ذلك هل تصدِّقونَ أنَّ القريةَ التي تركَها وكان

---

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الرابع، ص٦٥ ـ ٦٦.

(٢) تفسير ابن كثير: ٤: ٢٣.

(٣) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الرابع، ص٦٧ ـ ٦٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عددها أكثرَ من مائةِ ألفِ نسمةٍ آمنوا بالله واتبعوا يونس عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾ [الصافات: الآيتان ١٤٧ ـ ١٤٨]، وَذَلِكَ في غيبةِ يونس عليه السلام آمنَ أهلُ نينوى فرفعَ الله عز وجل عنهمُ العذابَ، الذي كانَ على وشكِ الوقوعِ بهم، ومتّعهم بحياةٍ طيبةٍ سعيدةٍ إلى حينِ مجيءِ آجالهم، وانتهاء أعمارهِم، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس: الآية: ٩٨]، وهذا دليلٌ أنه لَمْ يؤمنْ أهلُ قريةٍ بكامِلها من قرى الكافرينَ السابقينَ، ولو آمنوا بكامِلهم لنفعَهُم، ورفعَ العذابَ عنهم. ولا يستثنى من هؤلاء إلَّا قومُ يونس عليه السلام، فَقَدْ كانوا كفاراً، وهدّدهم الله بالعذابِ، ولكنَّهم آمنوا بكامِلهم جميعاً قبلَ انتهاءِ المهلةِ، وقبلَ وقوعِ العذابِ، وبذلكَ نفعَهم إيمانهم، فرفع الله العذاب عنهم في الدنيا والآخرةِ، وجعلهم يعيشونَ حياتَهم في سعادةٍ، إلى حينِ انتهاءِ أعمارهم ومجيءِ آجالهم[1]!

الأم: نعم؛ هذه هي سنّةُ الله في الإيمانِ، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [يونس: الآيات ٩٦ ـ ١٠٠].

ألم نتحدَّث عن علمِ الله الأزليّ وشرحناه بالتفصيل الممتع؛ هَذَا هو معنى الآيات، علِمَ الله عز وجل من الأزلِ منْ سيكونُ مؤمناً ومنْ سيكونُ كافراً، والأهمُّ أنَّ الله عز وجل علِمَ ذلك مع إرسالِ الرسلِ والمقوماتِ التي

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الرابع، ص٦٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أنعمَ الله بها لآدم عليه السلام ليكونَ خليفةَ الله في أرضهِ على وجهِ الابتلاءِ والاختبارِ، علِمَ الله عز وجل مَا في قلوبِ كلِّ واحدٍ منَّا قبل خلقِ الزَّمانِ والمكانِ بخمسينَ ألفَ عام، وحتَّى تكون الحجَّة علينا أرسلَ الرُّسلَ ليبشرونا بجنَّةٍ عرضُها السماوات والأرض أعدَّتْ للمتَّقين، وينذرَ منْ لَمْ يؤمنْ بالله عز وجل العذابَ في الدنيا قبلَ الآخرةِ، هَذَا وعدُ الله عز وجل وهذه سنَّةُ الله في خلقِه، نعم؛ هَذَا مَا حدثَ مع سيِّدنا يونس عليه السلام، حتَّى نتأكد نحنُ من هذه المعلومةِ، فما شاءَ الله كانَ وما لَمْ يشأْ لَمْ يكنْ، هذه خلاصةُ سنة الله في الإيمانِ والكفرِ، كما تقرِّرها الآيات.

الأب: وفي هَذَا درسٌ للنَّبيِّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، ولكلِّ مَن يدعو إلى اللَّهِ من بعدِه مِن أمَّتِهِ، أنْ يَعْلَم أنَّ دورَه وواجبَه هو دعوةُ الناسِ إلى اللَّهِ، والصَّبر عليهم، وعدم التذمُّر والتأفُّفِ أو اليأس من إيمانِهِم واستجابَتِهِم؛ لأنَّ إيمانَ الناسِ ليس بيدِهِ، وإنَّما هو بيدِ اللَّهِ عز وجل، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٧٢].

ولذلك أراد الله أن يعلِّمَه أنَّ الصبرَ مفتاحُ الفرجِ، ولا سيَّما الصبرُ على قَدَرِ الله: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَىٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القَلَم: الآيات ٤٨ ـ ٥٠].

شَكَرَ الأولادُ أبوَيْهِم لِكلِّ مَا يفعلانه من أجلِهم. ثمّ استأذنوا وَذَهَبُوا للنومِ.

* * * * * *

قصة رقم ١٧

قصةُ نبيِّ اللَّه موسى عليه السلام

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نبي اللَّه موسى عليه السلام

انهمك أبطالُ قِصصنا بتجهيزِ أنفسهم للعام الدّراسيِّ المُقبل، فمدرستُهُم سَتفْتحُ أبْوابها لِاْستِقبالِهم ـ بَعْدَ أقلِّ مِنْ أُسبوعٍ ـ لهذا لَمْ يتباطأوا ولم يتوانوا، بل أسرعُوا لشراء الكُتب واللّوازم المدرسيّة بكل جدٍّ واجتهادٍ، حتَّى يكون عامُهُم ناجحاً منذُ اليوم الأوَّل. فالتلميذُ النَّجيبُ هو الذي لَا يدَّخرُ جُهداً ولا يُضيِّعُ وقْتاً في سبيل تفوُّقه الدِّراسيِّ، مُتَّبعين المثل القائل: (الوقتُ كالسَّيف، إنْ لَمْ تقطعه قطعك). وهذا أيضاً يجعلهُمْ يُنَظِّمون أوقاتهم بشكلٍ جيّدٍ، فيُوفِّقوا بين دُروسهم اليوميَّة ـ وما أكْثرَها ـ وقِصصُ الأنْبياء التي باتوا غير مستعدِّين للتَّخلِّي عنها، فهي تُعلِّمهمُ الكثير من أمور دينِهم، وتُثقِّفهم، وتجعلهم أكثر وعْياً وإدْراكاً. وهم يعلمون جيِّداً أنَّ أمَّهم قد ترفضُ مُتابعة سردِ هذه القِصصِ إنْ هُمْ قَصَّروا في واجباتهم المدرسية.

لقدْ نجح أحمدُ في امتحان الشَّهادةِ المُتوسِّطة للعام المُنصرم، وأصْبح في عداد التلاميذ في المرحلة الثانويَّة، التي تُمهِّدُ للدُّخول إلى الجامعةِ، وعليه ـ والحالُ هذه ـ أنْ يكون أكثر انضِباطاً وتنظيماً للوقت ممّا مضى، ليُصبح في المُستقبل دقيقاً في تعامُله مع النَّاس، ودقيقاً في جميع أعماله، فيزداد احترامُ النّاس له.

أما جميلٌ وسامي فما يزالان في المرحلةِ المُتوسِّطة، وهي مرحلةٌ مُهمَّةٌ مِنْ مراحل التَّعلُّم، ومن لَا يستطيع اجتيازها بسُهولةٍ وارتياحٍ فسيكونُ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من الصَّعب عليه إكمالُ علمه، لهذا قرّرا أَنْ يفعلا مثل أخيهِما، ليكون الوقت متَّسعاً أمامهما، لتمرين عقليهما على التَّنظيم والتّرتيب وعدم الفوضى...

ولكنّ هَذَا كُلّه لَمْ يَمْنَعهم من الحديث عن القِصَصِ في سَهراتهم مع والِدَيْهم، والضُّيوفُ الذين كانوا يسْمرون عندهم، كالجيران والأقاربِ ولا سيّما خالَتُهم وزوجُها وابْنتُها. فَقَدْ تعوَّدوا على البقاء معاً في أثناء رحلتهم إلى مِصرَ، واللَّعبِ مع ابنةِ خالَتهمْ ومُخاطبتِها ومحاوَلةِ إضحاكِها دَوْماً ـ تأسِّياً بعمل رسولِ الله ﷺ، كما جَاءَ في الحديث الذي خرَّجه البُخاري في صحيحه: «**خرج علينا النَّبيُّ ﷺ وأُمامةُ بنتُ أبي العاص على عاتقهِ فصلَّى فإذا ركع وضعها، وإذا رفعَ رفعها**»[1]. وكان عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ يلاعبُ الأطفال ويلاطفهم وهم يلاحِقونَهُ ويتمسّحون به.

وفي إحدى تلك السَّهرات قال **أبو سارة**: أتعلمون، إني أَغبطُكُم[2] على حياتكمُ السَّعيدةِ هذه، وأنا أظنُّ أنَّ ذلك بسبب اتِّباعكمُ الدائم لكتابِ اللَّهِ وسُنَّة رَسُولهِ الكريم عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، وذِكرُ اللَّهِ سُبحانَهُ وتعالى ورسولهِ بشكلٍ دائم في البُيوتِ، يُبعِدُ عنها كيد الشَّيطان لهذا سأحاولُ بكل جَهدي تقليدَكُم والِاْقتداءَ بكم للحِفاظِ على بيتي سعيداً.

أبو أحمد: لقدْ أمرنا اللَّهُ تعالى بالمُداومةِ على ذكرهِ، وتوعَّد منْ يُعرضُ عنهُ بالحياة الصَّعبة المُرَّة فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: الآية ١٢٤].

الأم: هذا الكلام صحيحٌ، ولكنْ ألا يكونُ ذكرُ اللَّهِ إلاّ بالقصص؟ نحنُ نذكرُ اللَّهَ عندما نقرأُ القرآن، ونتعلَّمُ قواعد تلاوتهِ وتجويدهِ، ونُعلِّمُها للنّاس؛ ونذكرُ اللَّهَ عندما نُصَلِّي الفُروضَ والنوافِل؛ ونذكرُ الله عندما ندعوهُ

---

(١) ٧٨ ـ كتاب الأدب ـ باب ١٨ ـ حديث رقم ٥٩٩٦، من حديث أبي قتادة.

(٢) أغبطكم: أفرح لأجلكم، ضد أحسدكم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ونبتَهِلُ له؛ نذكر الله في كُلِّ أوقاتِنا... فما الهدفُ مِنْ قِصص الأَنْبياءِ؟ وما الحِكمةُ منها؟

أبو أحمد: القِصّةُ أسلوبٌ من أساليب التَّعبير عمّا في النُّفوسِ، والنّاسُ مُختلفون في عُقولهم وطبائعهم. ورسُولُنا الحبيبُ حثَّنا على مُخاطبةِ النّاس باللّين.

وقد ذكرنا في قصّةٍ سابقةٍ أنَّ القصص وسيلةٌ لا بُدَّ منها للدعوةِ وإحقاقِ الحقّ ومحاربةِ الباطلِ. والقرآنُ الكريمُ أشارَ في أثناءِ حديثِه عن القصصِ إلى أهدافٍ عدّة وهي:

١ ـ إثباتُ ترابُط الرّسالاتِ، وأنها ذاتُ هدفٍ واحدٍ، وإن ٱختلفَتْ شرائِعُها، لِقولِ رسول الله ﷺ: «**إنّ مَثَلي وَمَثلَ الأَنْبياءِ مِنْ قَبْلي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنى بيتاً فَأَحْسَنَه وأَجْملَهُ، إلاّ موضعَ لَبنَةٍ، مِنْ زاويةٍ، فجعَلَ النّاسُ يطوفون به وَيَعْجَبُون لَهُ وَيَقُولون: هلاّ وُضِعَتْ هذهِ اللَّبِنةُ؟ قالَ: فأنا اللَّبِنَةُ وأنا خاتمُ النَّبيِّينَ**»[(١)].

٢ ـ إثباتُ نبوّة مُحمدٍ ﷺ ورسالَتِهِ وتصحيحِ اعْتِقاد اليهودِ والنّصارى، وذكر دَعْوات رُسلِهم.

٣ ـ تثْبيتُ قلب النّبيِّ ﷺ وصحابَتِه وأتباعِه.

٤ ـ دعوةُ الأنبياء جميع النَّاس للإسلام[(٢)]...

أحمد: يبدو أَنّنا لَنْ نتابع قصص الأنبياء!

---

(١) البخاري، الصحيح، ٦١ ـ **كتاب المناقب**، ١٨ ـ باب خاتم النبيين، حديث ٣٥٣٥.

(٢) الصباغ، بسام، **الدعوة والدعاة بين الواقع والهدف**، دمشق، دار الإيمان، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص١٨٣ ـ ١٨٥ (بتصرف).

الأم: لماذا؟ هل هناك مَا يَمْنع ذلك؟

أحمد: لقد مضى على دُخولنا المدرسة أسبوعان، لَمْ نسمَعْ فيهما قصَّة نبيٍّ من الأنْبياء.

الأم: لقد كانا أسبوعيّ عملٍ مُكثَّفٍ. ألم تكونوا مُنْهمكين في ترتيب كُتُبكُم ولوازِمكُمُ المدرسيَّةِ؟ وأنا أيضاً ٱنْغمسْتُ في أعمالي المنزليَّة الضَّروريَّة، لتهيئة البيت ٱسْتعداداً لفصل الشّتاء الذي ـ يبدو أنَّه سيكونُ قاسياً هَذَا العام ـ واللَّهُ أعلمُ. فَقَدْ كانَ الغبارُ يملأُ جوانبهُ بسبب إهمالي إيّاه خلال رحلتنا الأخيرةِ؛ ولم أنتَهِ من عمليَّة التنظيف هذه إلاّ أمسِ، وكنتُ مُتْعبةً جدّاً؛ لِذا وجدتُموني أُبادرُ إلى النَّوْمِ مُبكراً.

أحمد: ومتى سَنعُودُ إذاً للقصص؟

الأم: الليلةَ إن أردْتُم. فليْسَ لديَّ مانِع.

سامي: ومنْ هو النّبيّ الذي سنستمع إلى سيرتِه؟

الأم: نبيُّ اللَّهِ موسى بنُ عِمران عليه الصَّلاة والسَّلام. ولكنْ قبل البدءِ يجبُ أن نتَّفق على شيءٍ.

الأولاد: ما هو؟

الأم: السّرد لن يكون يوميّاً، فدُروسكم كثيرةٌ ـ كما ترون ـ ووظائفكمُ اليوميَّةُ لَا تكادون تنتهون منها إلاّ في وقتٍ مُتأخِّرٍ، والنَّهارُ يقصرُ ـ كما تعلمون ـ في فصل الشتاء.

لذا سنُخصِّص أيّام العُطلِ الأُسبوعيّة لقصصِنا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سامي: طبعاً؛ وهذا مَا كُنّا نفعلُه سابِقاً.

الأم: سنبدأ أوَّلاً بشرح نسب هَذَا النَّبيِّ الجليل ـ الذي هو أحدُ أولي العزم من الرسل ـ.

جميل: أجل؛ لقد عرفنا ذلك في قصَّة سيِّدنا نوحٍ وإبراهيم عليهما السلام.

الأب: وهل تذكر كيف عرَّفنا (أولي العزم)[1].

جميل: أجل؛ إنّهم الأنبياءُ الذين صبروا على دعوةِ أقوامِهم إلى عبادةِ اللَّهِ الواحدِ، ووجدوا في سبيل ذلك مصاعب كثيرةً، ومشقّاتٍ كبيرةً، وجُحوداً عظيماً من شعوبهم. وهم: نوحٌ وإبراهيمُ وموسى وعيسى ومحمدٌ عليهم الصّلاةُ والسّلامُ.

الأم: هذا النبيُّ كَانَتْ له قصّةٌ مُعَبِّرةٌ ومُؤَثِّرةٌ منذُ مَا قبلِ أَنْ تحمِلَ بهِ أمُّه...

تَعجَّب الأولادُ مِن كلامِها: وكيفَ كانَ ذلك؟

الأم: قِصَّتُه تبدأُ مُنذُ دخولِ سيِّدنا يعقوب عليه السلام مع أولادِه إلى مِصر، ووصيَّتِه لهم عند وفاته، وإكرام أهلها لهم بِسببِ الإنجازاتِ العظيمةِ التي حقَّقها لهم سيدُنا يوسفُ عليه السلام. فهُم ظلّوا يذكرون كيف خلّصهُم من سِنيِّ الجَدْبِ.

الأب: هل تذكرونَ وصيَّة سيِّدنا يعقوبَ لأولادِهِ؟

أحمد: بالطبع؛ لقد أوصاهم بالمحافظةِ على دِينهم، كما أخبرنا الله تعالى في سورةِ البقرة: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: الآية ١٣٣].

---

(١) أولي العزم: أصحاب الهمة القوية.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

حافظ سيدُنا يوسف عليه السلام طيلة حياته على إسلامهِ الذي كانَ يظهر في تصرُّفاتهِ وأخلاقهِ، وبهذا استَطاعَ دعوة المصريينَ إلى الإسلام، فكلُّ الأنبياء مسلمون منْ لدُن آدم إلى محمدٍ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ؛ (والناسُ على دين ملوكهم) كما يقول المثل.

والإسلامُ هو توحيدُ اللَّهِ والامتثالُ لأوامرهِ ونواهيهِ.

وقصدُه بالسؤالِ الاستسلامُ لقضاءِ اللَّهِ تعالى، وإخلاصُ النِّيَّةِ له وحْده لَا شريك له.

وتابعتِ الأمُّ كلامها ـ وهي تُحسُّ بالفَخْر، لِأَنَّ أبناءها يحفظُون كلَّ مَا يسمعون من قصصٍ وآياتٍ قرآنيّةٍ ـ وهذا هو الدعاء الذي ٱبْتهلَ به سيِّدنا يوسفُ في آخر السُّورة التي تروي قِصَّته: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: الآية ١٠١].

وأقامَ إخوةُ يوسف وأبناؤهم في مصرَ وكثروا حتَّى حدَث مَا حدَث، إذ حدَثْت في مصر حوادثُ جديدةٌ، أدَّت إلى قيامِ الفراعنةِ باضطهادِ بني إسرائيلَ وتعذيبِهم.

هذه الفترة الزمنية بين يوسف وموسى عليهما السلام، مسكوت عنها في مصادرنا الإسلامية الموثوقة، المتمثلة في الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة.

وتمثِّلُ هذه الفترة «حلقةً تاريخيةً مفقودةً»، لَا نستطيعُ الخوضَ فيها، ولا البحثَ في تفصيلاتِ أحداثها، لأنَّنا لَا نملكُ أخباراً ومعلوماتٍ نعتمدُ عليها في ذلك!

وما جرى في هذه الفترة يعتبرُ عندنا من «مبهماتِ القرآن» التي لَا نعلَمُ عنها من مصادرِنا الإسلاميةِ شيئاً، ولهذا نتوقَّفُ في أحداثها، ولا نرى الذَّهابَ إلى الإسرائيلياتِ (اليهوديات) والأخذَ منها.

وكلُّ مَا يمكننا قوله عن هذهِ الفترة: أقامَ بنو إسرائيلَ في مصر، مدّةً منَ الزمن، كانوا في أمانٍ واطمئنانٍ واحترامٍ من قبلِ المصريين. ثمّ جدّت أمورٌ، أدَّتْ إلى سوءِ الصلةِ بينهم وبين المصريينَ، وتوتُّر العلاقاتِ بينهما. وبذلكَ انتهتْ فترةُ الأمانِ والاطمئنانِ لبني إسرائيلَ في مصر، وحلّ محلّها الاضطهادُ والتعذيبُ والابتلاءُ، واستمرَّ هَذَا إلى بعثةِ موسى عليه السلام.

وقد أشارتْ آياتُ القرآنِ الكريم إلى هَذَا التغييرِ السلبيِّ الذي أصابَ بني إسرائيلَ في مصر، وذكرتْ بعضَ صورِ العذابِ الذي صبّه الفراعنةُ عليهم[1].

جميل: وما السببُ في التغييرِ السلبيِّ الذي صبَّه عليهم الفراعنةُ؟

الأم: فقط آياتُ القرآنِ أشارتْ إلى تغيير نظامِ الحكمِ في مصر، من خلالِ إخبارنا عن حاكمِ مصر.

سامي: تقصدينَ الحاكمَ الذي كانَ أيامَ يوسف عليه السلام؟

الأم: نعم؛ كانَ حاكمُ مصر زمنَ يوسف عليه السلام يلقَّب بالملكِ، كما مرّ معنا في قصَّةِ يوسفَ عليه السلام، واستمرَّ يلقبُ بالملكِ فترةً بَعْدَ وفاة يوسفَ عليه السلام، ولا نعرفُ عددَ الملوكِ الذينَ حكموا مصرَ في هذه الفترةِ، كما أنَّنا لَا نعرفُ أسماءَ هؤلاء الملوكِ.

الأب: أخبرَ القرآنُ الكريمُ عن اضطهادِ بني إسرائيلَ، وبعد ذلكَ أطلقَ على حاكمِ مصرَ لقبَ «فرعون»، كما يقولُ المؤرخون.

قاطعه سامي مؤرخون!! مَا معنى مؤرخون.

الأب: هم علماءُ تاريخ، يؤرِّخون لأحداثِ العرب وغيرهم، من معارك وأحداثٍ، فيكتبونَ مَا حدث في ذلك الزمانِ.

---

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الثاني، ص٢٦٠.

أحمد: ألم تقلْ لنا أن لَا نأخذَ إلَّا من مصدريْنِ هما (كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ).

الأم: صبراً!! لَمْ العجلةُ لَمْ ينتهِ والدكم من سردِ مَا قاله المؤرخون!! أين الصَّبر؟؟

الأب: نعم؛ ألم نتعلمِ الصّبر من القصصِ السابقة وخاصةً من قصّة سيِّدنا أيوب عليه السلام!!

صمتَ الأولادُ ليسمعوا مَا سيرويه والدَهم.

تابعَ الأبُ: قالَ المؤرِّخونَ[1]: طرْد المصريينَ للَّذين استعمروهم منَ الخارجِ، والذين عُرِفوا باسم الرعاةِ أو الهكسوس، وهم قبائلُ عربية احتلَّت مصرَ، وقَدِمتْ من جنوبِ بلادَ الشَّام، ودامَ حكمها لمصرَ عدة أجيالٍ، ثمّ قامَ المصريون بثورةٍ وطنية بقيادة «أحْمَسْ» أحد أفرادِ الأسرةِ الفرعونيةِ الحاكمة من قبل، فطردوا الهكسوس العربَ، وأعادوا الحكمَ إلى الفراعنةِ.

هذا مَا يقولُه المؤرِّخون، . . . **تابع الأب** بَعْدَ صمتٍ قصيرٍ. . . ونحنُ نتوقَّف في هَذَا الكلام، فلا نعتمده، ولا نرفضه ونكذّبه، والعلمُ عند الله!

(ابتسامة رقيقةٌ ترسم على وجهِ أحمد انتصاراً لما قاله).

وتابع الأبُ. . . فإن صحّ كلام هؤلاءِ المؤرخينَ، يكونُ بنو إسرائيل قد دخلوا مصرَ زمنَ حكم الهكسوسِ العرب، ويكونُ حكام مصرَ وقتها ملوكاً عرباً، ويكونُ يوسفَ عليه السلام وزيراً للملك العربي الذي حكمَ مصر[2].

---

(١) صاغ الروائي نجيب محفوظ، قصة ثورة الفراعنة على الهكسوس في كتابه «**أحمس بطل الاستقلال**».

(٢) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني، الجزء الثاني، ص٢٦١**.

الأم: يكونُ هَذَا هو سرّ تكريمِ ملوكِ الهكسوس لبني إسرائيلَ إذن.

الأب: نعم؛ على اعتبار أنَّ الفريقيْنِ جاءا من جنوبِ بلادِ الشَّام، وأنهما ليسا من أهلِ البلادِ الأصليينَ.

وإن صحَّ كلام المؤرخين، تكونُ ثورة الفراعنة بقيادة «أحمس» على الهكسوس، ثورةً على الإسرائيليين أيضاً، حيثُ اعتبروهم عملاء للمستعمرينَ الهكسوس. ويكونُ هَذَا هو سرُّ اضطهادِ الفراعنةِ للإسرائيليين بعدَ طردِ الهكسوس!

هذا مَا يقوله المؤرخونَ، ونحن نتوقف فيه كما قلت.

لكنَّنا نقرِّرُ أنَّ «الملكَ» كلمةٌ عربيةٌ أصيلةٌ، ولعلَّ إطلاقَها على حاكمِ مصر زمنَ يوسف عليه السلام، دليلٌ على أنّ حكامَ مصر وقتها كانوا عرباً.

أما «فرعون» فإنَّها كلمةٌ أعجميَّة، ولعلّ إطلاقها على حاكمِ مصر زمن اضطهادِ بني إسرائيلَ، دليلٌ على عودةِ حكمِ مصر إلى الفراعنةِ!

نذكرُ هَذَا من بابِ الاحتمال، وليسَ من بابِ الجزمِ واليقينِ. والله أعلم[1].

أحمد: وهذا أيضاً بسببِ أنّهم عاشوا لِلدُّنيا في بذخ وَتَرَفٍ، واتَّبَعُوا أهواءَهم ومَلَذّاتِهم على الإيمانِ... أَذَلَّهُمُ اللَّهُ! إنّ حالهُم هذه تُشْبهُ مَا نحنُ عليه اليوم، فنحنُ ـ المسلمون ـ كثيرون ولكِنّنا غثاءٌ كغُثاءِ السَّيلِ، نلْهَثُ خلْفَ المال ونَفِرُّ من الموت... يا اللَّهُ!! هل هَذَا يعني أننا لو عُدْنا إلى التَّمسُّك بأمور ديننا فإنَّ أحوالنا وكرامتنا وعزَّتنا ستعُودُ؟

الأم: بالطَّبع. وهذا مَا قالهُ أميرُ المؤمنين عُمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه في رِحْلته الأولى إلى بلاد الشّام، يلقاهُ على أبواب مدينة القُدس قادة جيْشِهِ وأمراؤه مُمتطين صهوات الخيلِ، وَقَدْ تمنطقوا بحُللٍ من الدِّيباج...

---

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الثاني، ص٢٦٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فلمَّا قالوا لهُ: إنّ النَّاس في هذه البلاد مُختلفون عن أهلِهم في الجزيرةِ، قالَ لهم: «نحنُ قومٌ أعزَّنا اللَّهُ بالإسلام، فإذا ابْتغينا العزَّة بغيره أذلَّنا الله».

لأنّ الناسَ طبَّقوا منهج اللَّهِ وسُننه الكونيَّة التي من أجْلِها خُلقوا ـ ألا وهي عمارةُ الكون ـ أعزَّهُمُ الله، وعندما يَتْرُكون هَذَا المنْهَجَ ستتبدَّلُ أحوالُهم حتَّى يعودوا إلى اللَّهِ. هزَّ الأولادُ رؤوسهمُ اعتِباراً بهذا الكلام البليغ، ولم يتكلَّموا.

تابعت الأم كلامها: لِمَ نحتارُ وَقَدْ علّلَ القرآنُ الكريمُ سرّ اتخاذِ المصريينَ الفراعنةِ بني إسرائيل عبيداً لديْهم، وإذلالهم أمام فرعون، وطاعتِهم له، ورضاهم أن نستخفَّ بهم وبعقولِهم، والسرُّ بذلك هو فسقهم، ولو لَمْ يكونوا فاسقينَ كافرينَ لما تفرعَنَ فرعونُ عليهم، ولما تكبَّر وتجبَّر، وطغى وبغى!! قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزخرف: الآيات ٥١ ـ ٥٤].

وهذه هي تصرفات فرعون، وهي تصرفاتُ كلِّ الفراعنةِ الذين حكموا مصر في تلك الفترة[1].

سامي: لماذا قلت (الإسرائيليين)، ولم تقولي (اليهود)؟

الأم: لم تكنِ اليهودية قد ظهرتْ بعد. فهي التَّسميةُ التي أطلقَها بنو إسرائيلَ على أنفسهم، بَعْدَ أنْ هادوا إلى الله.

وقد أُلغيتْ تسميتهم الأولى ـ بنو إسرائيل ـ منذُ البعثةِ النبويّةِ،

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الثاني، ص٢٦٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والتصقَ بهم اسم اليهود، لأنَّهم لَمْ يؤمنوا برسولِ الله ﷺ[1].

سامي: أكملي من فضلكِ، ماذا فعلَ فرعون؟

الأم: كانَ فرعونُ مصاباً بمرضٍ نفسيٍّ، يصيبُ القادةَ والحكامَ، عندما يبتعدون عن الله، ولا يدينون بدين الحقِّ، إنه مرضُ «الفرعونية»!!

إنَّ هؤلاء يرونَ أنفسهم حكَّاماً مسؤولين، آمرينَ ناهينَ، ويرونَ الآخرين أذلَّاء مستسلمين، فينسون أنَّهم بشرٌ كباقي البشرِ، وأنَّ حكمهم للآخرين فرصةٌ لخدمتِهم وتقديمِ الخيرِ لهم، وعندما ينسون ذلك تسوِّلُ لهم نفوسهم أنَّهم آلهة وأرباب، فيدعونَ أتباعَهم وأقوامهم إلى تأليههم وعبادتهم، ويتعاملون معهم بمنتهى درجاتِ الازدراءِ والاستخفاف والاحتقارِ! فيقسيهم الله، ويأخذهم أخذ عزيزٍ مقتدرٍ[2].

الأبُ معقباً: إنّ الفرعونية ظاهرةٌ مرضيةٌ خطيرة، تصيبُ أصحابها في كلِّ زمانٍ ومكانٍ. وإنّ «فرعون» نموذج مكرور في تاريخِ البشريةِ، يتمثّل في كلّ حاكم يحكم قومه كما حكم فرعون المصريين، بمنأى عن دين الله. وما أكثر «الفراعنة» في القديمِ والحديثِ[3].

جميل: إذاً كانَ فرعون ظالِماً ومستبدّاً، فكيفَ يقبلُ الشَّعب أن يفعلَ هَذَا بمن كانَ يحترمهم في يومٍ من الأيامِ؟

الأم: ولِمَ لا، لقد كانَ فرعون يدّعي الألوهية، ويقولُ لشعبه: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: الآية ٢٤] فكيفَ لَا يطيعونه؟

أحمد: هلْ سببُ اضطهادِ فرعونَ لبني إسرائيلَ لأنَّهم اعتبروهم أعواناً للهكسوسِ المستعمرينَ الغزاةِ؟ أم بسببِ فسقِ بني إسرائيل؟ وهل نسيَ

---

(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، الشخصية اليهودية من خلال القرآن، دمشق، دار القلم، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص٣٨ ـ ٤٢ (بتصرف).

(٢) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الثاني، ص٢٦٥.

(٣) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الثاني، ص٢٦٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الفراعنةُ فضلَ يوسف عليه السلام عندما وُلِّيَ أمرَهم وحكَم مصرَ في أزمتها الاقتصاديةِ، وأخرجَ البلادَ من هذه الأزمةِ[1]؟

الأم: كانَ بنو إسرائيل في مصرَ مؤمنين بالله، موحِّدين له، بينما كانَ المصريُّون كافرينَ مشركينَ بالله، يعبدون الأوثانَ والأصنامَ، ويعتبرون فرعونَ نفسه إلٰهاً، وهذا من أسباب العداوة بين الفريقينِ، فريقُ الإسرائيليين المؤمنين بالله العابدينَ له، وفريق المصريين المشركينَ بالله العابدين لفرعون[2]!

الأب مستطرداً: لقد أشارتْ آياتُ القرآن إلى مظاهر فساد حكم فرعون، وذكرتْ نماذجَ من اضطهاده وتعذيبه لبني إسرائيلَ، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص: الآية ٤].

تابع الأب: قسَّم فرعون أهلَ مصر إلى شيعٍ وجماعاتٍ وأحزابٍ مختلفةٍ ومتعارضةٍ، وحرصَ على التفريقِ بينهم، فمنهم المؤيِّدون له المقرَّبون عنده كالملأ والوزراء والسَّحرة، ومنهم المعارضون المخالفون له الذين أبعدهُم وأقصاهُم وأهملهُم، ومنهُم المعادون له، الذينَ اضطهدهم وعذّبهم كبني إسرائيل.

وكانَ فرعون يستضعفُ هذه الفئة، حيثُ كانَ يأمر بتذبيحِ وتقتيلِ أبناء هذه الطائفةِ الذكور، ويقضي عليهم، بينما يتركُ نساءهم يعشنَ حياتهنَّ بذلةٍ ومهانةٍ، لَا معيل لهنّ من الرّجال[3].

---

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الثاني، ص٢٦٦.
(٢) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الثاني، ص٢٦٦.
(٣) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الثاني، ص٢٦٧ ـ ٢٦٨ (بتصرف).

الأم: سنتابعُ القصّة بَعْدَ العَشاء.

قال الأولاد: نحنُ لسنا جائعينَ، نريدُ سماعَ القصّةِ. ولكنَّ الأبَ أعربَ عن جوعه، وطلبَ أيضاً كوبَ شايٍ ساخنٍ.

لم يجدِ الأبناءُ بدّاً من السكوتِ، واحترامِ كلامِ الوالديْنِ. فنهضوا وساعدوا أمّهم في تجهيزِ الطعامِ فبرُّ الوالدين فرضٌ لازم، وهو أمرٌ يسيرٌ على من يسّره الله له.

وبرّهما: خفضُ الجناحِ، ولينُ الكلام، وألا ينظرُ إليهما إلّا بعينِ المحبةِ والإجلالِ، ولا يعلو عليهما في مقالٍ، إلاّ أن يريدَ إسماعَهما، ويبسطُ أيديهما في نعمته، ولا يستأثرُ عليهما في مطعمِه ولا مشربِه.

انتهوا من العشاءِ، وعمِلَ كلُّ فردٍ في العائلةِ على غسلِ يديْهِ وفمهِ، وتنظيفِ أسنانهِ جيّداً بَعْدَ الطعامِ ثمّ أعادوا ترتيبَ البيتِ، وعادوا إلى جلستهمُ الأولى.

سامي: هيّا يا أمّي أكملي القصّةَ من فضلكِ، فأنا أريدُ أن أعلمَ مَا حدثَ مع سيِّدنا موسى عليه السلام؟

أحمد وجميل: نحنُ أيضاً على أحرٍّ من الجمر لمعرفةِ ذلك.

ابتسم الوالدان لأنّهما نجحا في تأجيج حماسةِ الأولادِ، وتعزيزِ روحِ المعرفةِ في أنفسهم.

قالت الأم: مراحلُ حياة موسى عليه السلام يمكنُ أن نقسِّمها إلى عدة مراحل؛ وهي كالتالي:

المرحلةُ الأولى: حياةُ موسى عليه السلام من الميلادِ إلى عودتهِ إلى أمه (وهذا مَا سنتحدّثْ عنه في هذه الأمسيةِ).

المرحلةُ الثانية: نبيُّ الله موسى عليه السلام نشأتُه وشبابُه.

المرحلةُ الثالثة: موسى عليه السلام يكلّف بالرسالة.

المرحلةُ الرابعة: موسى عليه السلام ومواجَهتِهِ لفرعون.

المرحلةُ الخامسة والأخيرة: موسى وهارون عليهما السلام بَعْدَ خروجِ بني إسرائيلَ من مصر.

أمَّا ختام قصّة موسى عليه السلام: فسنتحدَّثُ عن موسى عليه السلام مع الخضرِ عليه السلام، ونختمها عن وفاتِهِ ودفنِهِ ومكانِ قبرِهِ، ثمّ نتحدَّثُ عن بني إسرائيل بعده[1].

تمَلْمَلَ الأولادُ من شدَّة حماسهم، ولكنَّهم لَمْ ينبسوا ببنتِ شفة، ظلُّوا هادئين متوتِّرين وكأنَّ على رؤوسهمُ الطير.

الأب: أولاً سنعرّف بأسرة موسى عليه السلام والأجواءِ التي ولدَ فيها. موسى عليه السلام هو: «موسى بنُ عمران»، والدليلُ على أنَّ اسم أبيه عمران مَا رواه مسلم وغيره عنِ ابن عباس رضي الله عنهما عنْ رسول الله ﷺ قال: «**مررْت ليلةَ أسريَ بي على موسى بن عمران** عليه السلام»[2].

وقد أخبرَنا الله في القرآن عن بعضِ أسرةِ موسى: فأبوه عمران، وأمه كَانَت امرأةً صالحةً مؤمنةً موقنةً، تَحَدَّثَتْ الآياتُ عنها عندما تكلمتْ عن ولادةِ موسى، ولا تخبرنا مصادرنا اليقينيةِ عنِ اسم أمه.

وأختُه كَانَتْ فتاةً صالحةً، وَكَانَتْ ذكيةً فطنةً، من خلال متابعتها لرحلةِ أخيها الصغير في التابوت .

وأخوهُ هارونُ صالحٌ فصيحٌ، أفصحَ من أخيهِ موسى، ولا ندري أولِدَ قبله أم ولِدَ بعده، وكلام القرآن عنه قليل[3].

---

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الثاني، ص٢٧٤ ـ ٢٧٧ (باختصار وتصرف).

(٢) أخرجه مسلم برقم: ١٦٥ (٢٥٧).

(٣) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الثاني، ص٢٧٩ ـ ٢٨٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأم: وقد أخبرنا الله ﷻ في القرآنِ عنِ الأجواءِ التي ولدَ فيها موسى عليه السلام، وعنْ أهمِّ مَا جرى له بَعْدَ ولادته، حتَّى تبنّاه فرعون، وأعادَه إلى أمهِ، وهذا الإخبارُ في سورةِ طه، وفي سورة القصص.

بدأَ أحمد بتلاوة الآياتِ من سورة طٰه: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰٓ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾.

وسورة القصص: ﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىٖ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾.

قال أحمد: تُبَيِّنُ الآياتُ بوضوحٍ قصّةَ موسى عليه السلام فهي القَصص

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الحقّ من عندِ الله ﷻ أليسَ كذلك؟

الأب: باركَ الله بكَ، الآنَ عرفت أنَّ القصص لَا يمكنُ أن نأتي بها من أيِّ مصدرٍ غير القرآن الكريمِ أو حديثٍ صحيحٍ رواه رسولُ الله ﷺ.

أحمد: نعم؛ هَذَا واضحٌ وضوحَ العيانِ، فما ذكره الله ﷻ في القرآن من معلوماتٍ في قصّة موسى عليه السلام، تُبَيِّنُ أنَّه هو الحقُّ والصدقُ والصِّحةُ والصوابُ، وقعتْ وحصلتْ وحدثتْ في عالمِ الواقعِ كما أخبرَ الله، وعلى المؤمن أن يصدِّقَ ويثقَ ويؤمنَ بها كما وردتْ في القرآنِ، وأن لَا يزيدَ ولا ينقصَ ولا يشكَّ في أيِّ خبر(١).

الوالدان بفخر: باركَ الله بكَ بنيّ.

وجميل: ما شاءَ الله لَا قوةَ إلَّا بالله.

الأب: استنتاجٌ رائعٌ؛ أنارَ الله بصيرتكَ، فاليومَ هناك أناسٌ كثرٌ يتلون كتابَ الله ﷻ ومع ذلكَ تجدهمْ يستشهدون بالتوراةِ المحرّفةِ أو منْ غير هذينِ المصدرين!!!

الأم: القرآنُ الكريمُ لَمْ يخضْ في تفاصيلِ وجزئياتِ قصّة موسى عليه السلام، بل إنَّ مَا عرضه منها قليلٌ بالقياسِ إلى مَا لَمْ يعرضه، وهو «بعض» وجزء من جسم القصة الكبير! وشبه جمَلةِ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ في قوله: ﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾ معناها الصِّحة والصَّواب(٢).

الأب: وهي توحي بطبيعةِ القصَّةِ القرآنيةِ، فما ذكرَه الله من معلوماتٍ في قصّةِ موسى عليه السلام هو الحقُّ والصدقُ والصحةُ والصوابُ، وقعت وحصلت وحدثت في عالمِ الواقع كما أخبرَ الله.

سامي: حفظتُ هذه المعلومةِ ولكنْ أريدُ سماعَ القصةِ!!!

---

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الثاني، ص٢٨٢.

(٢) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الثاني، ص٢٨١ ـ ٢٨٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تدخَّلتِ الأمُّ قائلةً: لقد تأخَّر الوقتُ، يجبُ أن تناموا لتستيقظوا مبكرين. وغداً نكملُ القصة بإذنِ الله.

* * * * * *

وفي اليومِ التالي؛ صمَّم الأولادُ على إنجازِ واجباتهمُ المدرسيةُ اليومية دون توانٍ ولا تباطؤٍ حتَّى أنهوها في وقت مثاليٍّ يمكِّنهم من تأدية صلاةِ المغرب في المسجدِ القريبِ، والعودةِ لمساعدةِ والدتهم في إعادة ترتيبِ البيتِ وتنظيفِ فناجينَ القهوة، فَقَدْ كانَ لديها بعض الجاراتِ اللاتي يحضرن بشكلٍ دوريٍّ لعقدِ مجلسِ علمٍ شرعيّ.

جلسوا جلسَتهم المعتادة لاستكمالِ القصة، قصّةِ سيِّدنا موسى عليه السلام...

قالت الأم: عَلِمنا من سورة طٰه والقصصِ مَا حدَث مع سيِّدنا موسى عليه السلام.

سامي: لديَّ سؤالٌ! كيف أوحى الله عز وجل إلى أمِّ موسى وهي امرأة؟ هل هي نبيَّة؟ ألم تقولي إنّ النبيَّ يجبُ أن يكون رجلاً؟ وكيفَ أوحى الله إليها؟ في حينِ أنَّها لَمْ تفكرْ وتخططْ؟

الأم: «الوحي» هنا ليسَ معناه أنَّ الله أرسلَ لها جبريلُ الأمينَ عليه السلام، فهو بهذهِ الطريقةِ خاصّ بالرجالِ... ولكن كانَ عن طريقِ الإلهامِ[1] الذي شرحته لكم سابقاً.

سامي: وبماذا أوحَى لها؟

---

(١) الخالدي، صلاح، **مع قصص السابقين**، ج٥، دمشق، دار القلم، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص٦٨ (بتصرف).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأم: قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ [القصص: الآية ٧].

وصلَ إلى مسامعهم صوتُ والدهم الذي عادَ متأخّراً بَعْدَ سماعهِ محاضرة قيِّمة ألقاها أحدُ علماء الدِّين الكبار، وبعد إلقاءِ التحيةِ ابتدرهم قائلاً: الآنَ فهمت لماذا لَمْ تفتَحوا لي البابَ، رغم سماعكم صوت المفاتيح!!!

الأولاد: أهلاً يا أبي. كنَّا نسمعُ مَا تقصّه لنا والدتنا عن سيِّدنا موسى عليه السلام وكيف أوحى الله إلى أم موسى..

الأم: عمّا كَانَتْ محاضرةُ اليومِ؟

ابتسم الأب وقال: كَانَتْ عن يومِ عاشوراءِ، والأحداثِ التاريخيةِ التي وقعتْ فيه منذُ بدءِ التاريخ.... وذكَر حديثَ رسولِ الله ﷺ عن يومِ نجَّى الله موسى عليه السلام وبني إسرائيل وأغرقَ آل فرعونِ، فصامه موسى شكراً لله. قال النبيُّ ﷺ: «**أنا أولى بموسى منهم**»[1] فصامه وأمر بصِيامه.

الأم: نعم؛ وسنتحدَّث عنه بالتَّفصيل حين يأتي دورَه في القصةِ.... فلا زلنا مع قصّةِ موسى الرضيعِ وكيف أوحَى الله إلى أمهِ.

جلسَ الأبُ لتتابع الأمّ الحديثَ عن موسى الرضيعِ فقالت: أم موسى عليه السلام امرأةٌ مؤمنةٌ صالحةٌ. أنجبتْ قبله أختاً له، تكبره بأعوامٍ عديدةٍ، بدليلِ أنَّها كَانَتْ فطنةً ذكيةً، تراقبُ التابوتَ وتشيرُ على آل فرعونَ بمرضعٍ لأخيها.

لمَّا اقتربتْ ساعةُ ولادةِ موسى سيطرَ القلقُ على أمّه، فهي لَا تعرفُ جنسَ الجنينِ الذي في بطنها، فإن كانَ أنثى فلا مشكلةَ بَعْدَ ولادتها،

(١) صحيح البخاري، حديث ٣٣٩٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لأنَّ فرعون كانَ يستحي بنات الإسرائيليات. أمَّا إن كان ذكراً فإنها المشكلة الكبرى، لأنَّ سكاكين فرعون بانتظاره لتذبحَه، وهي عاجزةٌ عن حمايته أو الدفاعِ عنه، فماذا تفعلُ إسرائيليةً ضعيفةً أمامَ بطشِ آل فرعون وجنوده؟

سلّمتِ المرأةُ المؤمنةُ أمرَها لله، وتوكّلتْ عليه، وآمنتْ بقدره وقضائه.

فأوحى الله إليها بكيفية التصرّف لإنقاذ حياة الوليد، فهي قد وضعتْ، والمولودُ ذكر، والله سينجيه. فألهمَها كمَا قلنا بأن تقومَ أولاً بإرضاع موسى فورَ ولادته: ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ وأمرُ الله بإرضاعِ الوليدِ يشيرُ إلى أهمية الرِّضاعة له، وألهمَها أن تجهِّز تابوتاً خشبيّاً على مَقاسه، لتضعَه فيه عند الخطر. قال تعالى في سورةِ طٰه: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾. وقال تعالَى في سورةِ القصص: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾.

من سورة طٰه وسورةِ القصص نتبيَّن أنَّ الله أمرَ أمَّ موسى أن تقوم بالفعلين، قذفِه في التابوتِ وقذفِ التابوتِ في اليمِّ ـ وهو البحرُ أو النَّهر ـ ولا تهتمَّ ولا تفكر بابنها بَعْدَ ذَلِكَ، فإنَّ الله سيحفظه ويرعاه، وينجيه من سكاكينِ آل فرعون، بالطريقةِ التي يختارها الله سبحانه وتعالى(١).

قال الأب معقباً: استرسلَ المحاضرَ في ذكرِ قصّةِ موسى عليه السلام، وركّز على الحكمةِ من ٱمتناعه عليه السلام عن المراضع...

الأم: فعلاً، إنَّ هذه مصادفةٌ سعيدةٌ.

الأولاد: وما هي الحكمةُ من امتناعه عنِ المراضع؟

الأب: إنّ الحِكَمَ كثيرةٌ:

«**أولُها**: إنّ هَذَا الامتناعَ تدبيرٌ إلٰهيٌّ، ليُعاد موسى إلى أمِّه.

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الثاني، ص٢٨٥ ـ ٢٨٦ (بتصرف).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وثانيها: لو قبِلَ موسى أيّة مُرضعٍ في قصرِ فرعون لحرُمَ من حنانِ الأمّ، ودفْءِ حُضنها، وحُسنِ رعايتها. ومن المعلوم أنَّ أمَّ الطِّفل أكثرُ حِرصاً عليه واهتماماً به، مهما كَانَتْ المرضعُ مُخلصةً لهُ.

الحكمةُ الثالثة من هَذَا الامتناع: أنَّ أمَّهُ لو قدَّمتْ نفسها لإرضاعِه لكانتْ مُتّهمةً، وَقَدْ تُثارُ حولها الشُّبُهاتُ، وَقَدْ تنكشفُ علاقتُه بها، لأنّ لهفةَ الأمِّ على ابنِها لَا تَخفى على مُراقِبٍ بصيرٍ.

وأخيراً ـ وليس آخِراً، إنَّ هَذَا الامتناعَ من بابِ مكرِ الله سبحانه وتعالى بفرعون وقومِه، حيثُ جعلَهم هم الذين يبحثون بحرصٍ واهتمام عنْ أيَّةِ مُرضِعَةٍ. عندها لنْ تكونَ هناكَ شُبْهةٌ في قبولهِ ثدي أمِّهِ، ولا يُفكِّرون في صِلتِها به...»[1].

الأولاد: سُبحانَ اللَّهِ. آمنتُ بالله.

الأب: كُنتُ أودّ لو أتابعَ السَّهرة معكُم، ولكنّني سأغتسلُ ثمّ أنامُ، فلقدْ كانَ هَذَا اليوم مليئاً بالعملِ والإرهاقِ الذّهني.

الأولاد: ولكنَّنا لَمْ نَرَكَ اليومَ، ألا تبقى قليلاً؟

الأب: أكادُ أغفو وقوفاً. أرجو المعذرةَ. غداً ـ بإذن الله ـ أسهَرُ معكُم. تُصْبِحون على خير. وأنتَ بخير. نرجو لكَ أحلاماً سعيدة.

أم أحمد: هل تريد أن أساعدَك في تحضيرِ لوازمكَ؟

أبو أحمد: لَا شكراً لكِ.

أم أحمد: مَا رأيكُم يا أولاد نكتفي اليومَ من ذكر قصَّة سيِّدنا موسى عليه السلام، ونكملُ القصةَ غداً بإذن الله لكي يتسنّى لنا السّهرَ والسّمرَ

(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **مع قصص السابقين**، ج٥، ص٧٧ (بتصرف).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فوالدكم متعبٌ اليومَ. رضخَ الأولادُ لوالدتهم وخلدوا إلى النّومِ.

وفي مساءِ اليوم التالي، جلسُوا جلستَهم المعتادة لاستكمالِ القصّةِ، قصّةِ سيِّدنا موسى عليه السلام وكيفيَّة نجاته العجيبة من فرعون.

قالت الأم: عرفنا أمس أنَّ الله سبحانه وتعالى أوحَى إلى أمّ موسى (الطريقة الربّانيّة المضمونة)[1] أن ترضِعَه وتقذفَه في التابوت وتقذفَ التابوتَ في اليمِّ، والأهمُّ من ذلك أمرهَا أن لَا تخافَ عليه وألَّا تحزن على مستقبلِ ابنها، الذي حمله اليمّ وسحبه بعيداً، وأخبرها الله عز وجل أنَّه سيتكفَّلُ بحفظهِ ورعايتهِ. وأخبرها الله عز وجل بالمحطةِ الأخيرةِ في رحلةِ الوليدِ، فإنَّ اليمّ سيأخذه بعيداً، وسيلقيه بالسَّاحل! سَاحل قصرِ فرعون! حيثُ سيتناوله فرعون، عدُّوه اللَّدود، الذي يبحث عنه ليقتله: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ...﴾ [طه: الآية ٣٩].

لقد وضعتِ الأمُّ الصندوقَ الذي فيه طفلها في النَّهرِ الذي سرعان مَا حملَه إلى بيتِ فرعون. لَمْ تخفِ الأمُّ إطلاقاً بل كَانَتْ مطمئنةً منتهى الاطمئنان. ولكنَّها ـ مع هَذَا ـ طلبت من ابنتها أن تتتبَّعَ خبرهُ هناك لِتُخبرها ـ فقط لمُجرَّد العلم ـ: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾ [القصص: الآيتان ١٠ ـ ١١].

سامي: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ وكيف تقصّهُ؟

انتبهتِ الأمُّ إلى سوءِ الفهمِ الذي حصلَ لابنها فابْتسمتْ وقالتْ: ﴿قُصِّيهِ﴾ يعني اتَّبعيه، «تتبَّعي خبرهُ» من القصصِ الذي هو اتِّباع الأثر واقتفاؤه.

---

(١) الخالدي، صلاح، **مع قصص السابقين**، ج٥، ص٦٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ضحكَ سامي لأنَّه لَمْ يفهمِ الكلمةَ بالشَّكلِ الصَّحيحِ، لقد ظنَّ أنَّ أُختهُ ستأخذُ مقصّاً كبيراً وتقُصّ أخاها. . . .

ابتسمتِ الأمُّ ضاحكةً وانتظرتْ إلى أنِ استعادَ الأولادُ هدوءهم لمتابعة القصّةِ.

قال جميل: لا أكادُ أصدِّقُ أنّ أمّاً فعلتْ هذا، وظلَّتْ هادئةً رابطةَ الجأشِ، لَمْ تشعرْ بالخوفِ ولا النَّدمِ. أنا أعتقدُ أنَّ أيَّ أمٍّ أخرى ستصابُ بالجنونِ حسرةً على ابنها الذي قذفته بنفسها في اليمِّ.

الأم: وأينَ أثر الإيمانِ؟! لقدْ طمأنها الله وربطَ على قلبها لتكونَ من المؤمنين.

وقد سجَّل حالتها بَعْدَ سحب اليمِّ لتابوتِ ابنها، قول الله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾ [القصص: الآية ١٠].

وأكملت الأمّ كلامها: بَعْدَ أن استودعتِ الأمُّ الله بابنها ظلَّت ترقب التابوتَ وهو يجري في النَّهر. .

أما التابوتُ فَقَدْ أمرَ الله اليمّ أن يحملَه إلى قصرِ فرعون!

وهكذا سارَ التَّابوتُ على وجهِ الماءِ، وأخت موسى تقصّه وتنظرُ إليه: ﴿عَن جُنُبٍ﴾، وتوقّفَ التابوتُ أمَامَ قصرِ فرعون، وفقَ ترتيبِ الله وحكمتهِ، ليحملَه أهلُ القصرِ، ويدخلوه إلى فرعون!!

وهكذا قدّرَ الله الأمورَ والأحداثَ، مبالغةً في المكرِ بفرعون والسخريةِ منه! إنَّ فرعون قد وظَّفَ رجالَه للبحثِ عن الوليدِ ليقتلوه، ولو وجدَه في حضنِ أمه لقتلَه، ولا يستطيعُ أحدٌ في البيتِ حمايته أو الدفاع عنه[1].

قال تعالى: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الثاني، ص٢٩٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه: الآية ٣٩].

فاليمُّ سلّمَ الوليدَ إلى عدوُّه اللَّدود فرعون، بأمر الله، ليريَ الله فرعونَ عجزَه عن قتلِ الوليد. قال تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾ [القصص: الآية ٨]، وَكَانَتِ امرأةُ فرعون داخلَ القصر، فلمَّا رأتِ التابوتَ أمرَتْ بفتحهِ، وفوجئتْ بالوليدِ موسى - ابنُ ساعَاتٍ - داخل التابوتِ، وأعجبَتْ به، وقذفَ الله حبّه في قلبها، ليحقِّقَ قدره وإرادته سبحانه.

أحبَّتِ امرأةُ فرعون موسى الوليد، واعتبرته هديةً لها، ورغبتْ في أنْ تتبناه، وأنْ تتخذَه ولداً لها.

امرأةُ فرعون في الآياتِ مبهمةٌ، وَقَدْ بيَّن رسولُ الله ﷺ إيمانها وفضلَها(١).

روى البخاريُّ ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**كَمُلَ من الرِّجالِ كثير، ولم يكملْ من النِّساء إلاَّ آسية امرأةُ فرعونَ، ومريمُ بنتُ عمرانَ، وإنَّ فضلَ عائشة على النّساءِ كفضل الثَّريدِ على سائرِ الطَّعام**»(٢).

آسيةُ بنت مزاحم امرأةٌ مؤمنةٌ صالحةٌ، كملت في إيمانِها وعقلِها، وهي من أفضلِ نساءِ العالمين، بشهادةِ رسولِ الله ﷺ، وهي امرأةُ فرعون(٣).

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [القصص: الآية ٩].

خيّمَ الصمتُ مع قطعِ الأنفاسِ على الأولادِ وهم ينصتون بجميع

---

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الثاني، ص٢٩٤.
(٢) أخرجه البخاري: ٣٤١١. ومسلم: ٢٤٣١.
(٣) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الثاني، ص٢٩٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

جوارحِهم لمَا تقولُه والدتهم، وقطعَ هَذَا الصمتُ الأب فقالَ: لَمْ تسألوا ماذا فعلتْ أخت موسى عليه السلام؟

الثلاثة: نتعجَّبُ لما قالته والدتنا عن زوجةِ فرعون وكيف ذكرها رسولُ الله ﷺ!

قال **أحمد**: آسيةُ بنت مزاحمٍ هناك أسئلةٌ كثيرةٌ أفكِّر بها.

قاطعته والدته: لَا نخرجُ عن الآيات الصريحةِ أو الأحاديثِ الصحيحةِ.

أحمد: قرأتِ أفكاري!

الأم: لقد سبقك في هَذَا البحث غيرك!! ولكن لَمْ يجدُوا الإجابةَ عنها؛ من أجلِ ذلِك أختصرُ لك الأمرَ؛ فإننا لَا نخوضُ في هذه الأسئلةِ، ولا نحاولُ الإجابة عليها[1].

جميل: وماذا فعلتْ أختُ موسى؟ هل ظلَّتْ ترقبه؟

أخذَ الأبُ دفةَ الحديثِ ليجيبَ عن سؤالِ جميل: استجابَ فرعون لرغبةِ امرأته، وأصدَر قراراً بتبنّي الوليدِ الصغيرِ موسى، وضمَّه إلى أهلِ بيته.

وكانتْ أخت موسى الفطنة الذكية تراقبُ عن بعدٍ، وتتابعُ أحداث أخيها عن جنبٍ.

سامي: كيف سيعودُ موسى إلى أمِّه؟

الأب: ألمْ تسمع قولَ الله تعالى أنّه سيعيدُ موسى إلى أمِّه.

سامي: نعم؛ لهذا أسألُ كيف سيكونُ ذلك؟

الأب: قال تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ اختار الله عز وجل بعلمهِ وحكمتهِ وقدرتهِ وسيلةً لَا تخطرُ على بالِ أحدٍ منَ البشرِ

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الثاني، ص٢٩٥ ـ ٢٩٦ (بتصرف).

أحمد: هل تقصدُ أنَّ الله حرّم عليه من ترضعه بما أنَّه وليداً، والوليدُ بحاجةٍ إلى الحليبِ!!

الأب: قال تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ ألا تلاحظون أنّ هذه الآية تبيِّن لنا معجزةَ الله ﷻ الباهرة! فلمّا تبنّى فرعون وامرأته الوليد موسى، صارَ في عُرْفِ النَّاسِ ابناً لفرعون، وامرأةُ فرعون ليستْ مرضعاً، فليس في ثديها حليبٌ للوليدِ، والوليدُ بحاجةٍ إلى غذاءٍ، وغذاؤه في الساعاتِ الأولى من عمره هو الحليب، والمصدرُ الوحيدُ للحليبِ في ذلك الوقت ـ هو النساءُ المراضعُ ـ فلمّا يمتنعُ الرضيعُ عن اتخاذِ أثداءِ النساء، فالمعتادُ قبول أيّ ثديٍ للرِّضاعة!! إنَّها إرادة الله، وإنه تقديرُ الله الحكيم سبحانه، وإن شفتيّ الرضيع جنديٌّ من جنود الله، جعلهما الله وسيلةً ربانيةً لتحقيقِ إرادته[1].

أحمد: مرّ معنا فيما مضَى جنودٌ آخرون أليسَ كذلك؟

جميل: نعم! هل نعتبرُ التابوتَ جنديٌّ من جنود الله، حفظَ الله فيه موسى.

سامي: والنهر!!!! أليسَ جنديّ من جنودِ الله!

صَفَّق الجميعُ لسامي لمعرفتِه هذه المعلومةَ المهمةَ، فَقَدْ بدأَ ـ سامي ـ وهو في هَذَا العمرِ الصغيرِ يستنتجُ كإخوته الكبار.

أكمل أحمد: اليمُّ جنديٌّ من جنودِ الله، حملَ التابوتَ إلى قصرِ فرعون.

وَقَلْبُ امرأة فرعون جنديٌّ من جنود الله، خفقَ بالحبِّ لموسى.

والآن شفتا موسى جنديّان من جنود الله، ترفضان جميعَ الأثداءِ من النِّساءِ المراضعِ، وتطلبان ثَدْيَ الأمِّ[2]!

---

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الثاني، ص٣٠٢.

(٢) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، ص٣٠٢ ـ ٣٠٣.

الأم: سبحانَ الله! قدّر الله وما شاءَ فعلَ، أرأيتمْ معنى حسنَ التَّوكل على الله، سخَّرَ الله ﷻ لأمِّ موسى جميعَ الجنودِ (الرياح والنهر والثّدي وقلبُ امرأةِ فرعون)، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: الآية ٣١].

يتابع الأب سرده للقصة:

هذه هي حكمةُ الله ﷻ، حتَّى يعودَ إلى أمّهِ، فَقَدْ كَانَتْ أخت موسى اللبيبة الذكية تراقبُ كلَّ شيءٍ، بفطنةٍ ووعيٍ، وَكَانَتْ مع المجتمعين حولَ أخيها، وشاهدتِ امتناعه عن جميعِ المراضعِ، ولاحظتْ تلهُّفَ فرعون وامرأته وآله على أخيها، واهتمامهم به، وحرصِهم على إنقاذِ حياته.

هنا تدخلَّتْ في اللحظةِ المناسبةِ، وعرضَت عليهم خدماتها، لإنقاذِ حياةِ ابن فرعون ـ بالتبنِّي ـ وأخبرتْهم أنَّها تعرفُ مرضعاً سيقبلُ الرضيعُ ثديها[1].

قال تعالى: ﴿۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾ [القصص: الآية ١٢].

وقال تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ﴾ [طه: الآية ٤٠].

قالت الأم: هل يقبلُ فرعون وآلهِ هَذَا العرضَ من تلكَ الفتاةِ؟ مَا رأيكُمْ؟

سامي: كنتُ أسألُ نفسي هَذَا السؤالَ؛ هل سيقبلُ؟ هل ستكشفُ؟

جميل: أما أنا فقلتُ في نفسي هل سيشكّون بأنَّها أخته ومن ستدلّهم عليها هي أمه[2]؟

أحمد: راودتني نفس الأسئلة في نفسي لولا أنّ الله ﷻ قال: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الثاني، ص٣٠٤.
(٢) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، الجزء الثاني، ص٣٠٤.

وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [القصص: الآية ١٣].

الأب: باركَ الله بكمْ جميعاً، فعلاً هَذَا مَا سيفكِّر به الإنسانُ لأنَّه غابَ عن حواسِه الأمورَ الغيبية، ولكن حينما نتلو الآياتِ تأتينا الإجابةُ من ربّ العالمين، خالقِ هَذَا الكون ومدبّره، فهو القدير، الذي قدّر كلَّ شيء. نعم؛ قَبِلَ آل فرعون عرضَ الفتاةِ، واستدعوا أمِّ موسى، وهم لَا يعرفونَ أنَّها أمه، وتدلُّ الآياتُ أنَّها تصرَّفت بحكمة هي أيضاً، ووضعْته على ثديها كأيِّ امرأةٍ لَا دخلَ لها بعاطفةِ الأمومةِ، ولكنْ حدث مَا لَمْ يكن بحسبان آل فرعون، قَبِلَ الطفلُ ثديَ هذه المرأةِ، ورضع منها بسكونٍ وطمأنينةٍ، وقول الله تعالى: ﴿فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ﴾ دالٌّ على أنَّ آل فرعون اتخذوها مرضعاً لهذا الوليدِ الذي اتخذوه ابناً لهم.

أحمد: لقد ذكرَ الله ﷻ في سورةِ القصص: ﴿فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ﴾.

ولكنْ في سورةِ طه قال: ﴿فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ . . .﴾.

ما السببُ في التأكيد على عودته لأمِّه بأسلوبيْنِ مختلفيْنِ؟

الأم: لعلّ هَذَا التأكيد بسببِ أهميةِ الموضوعِ.

الأب: أو للإشارة إلى تقديرِ الله ﷻ بإعادةِ موسى إلى أمِّه ولَيس للبشرِ تخطيطٌ في ذلك.

أحمد: فعلاً من يخطرُ على باله هَذَا الأمر، سبحان الخلاق العظيم، كي تقرَّ عينها ولا تحزن.

الوالدان: يا ربِّ اجعل ذريتنا ممَّن تقرَّ عيننا بهم.

الأولاد: آمين آمين يا ربَّ العالمين.

توقَّفَ الوالدان عند هَذَا الحدِّ من سردِ القصةِ على أن يكملا في يومٍ آخر.

رضخَ الأولادُ لقرارِ والديهْم، وحمدوا الله ﷻ على نعمه التي أنعمها عليهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة المؤلفة	٥
كلمة شكر وتقدير	٩
تقديم الدكتور صلاح الخالدي	١١
تعريف الكتاب	١٥
نبي الله شعيب عليه السلام	٢٧
قصة أنبياء الله أيوب وذو الكفل وإليسع وإلياس ويونس عليهم السلام	٧١
السور المكية	٨١
السور المدنية	٨٢
ذو الكفل وإليسع وإلياس عليهم السلام	٩٤
نبي الله يونس عليه السلام	٩٤
قصة نبيّ الله موسى عليه السلام	١٢٣

❋ ❋ ❋

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هذا الكتاب منشور في